الحصاد

AL-HASAD Issue No: 163 / April 2025 | العدد ١٦٣ / نيسان ٢٠٢٥ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

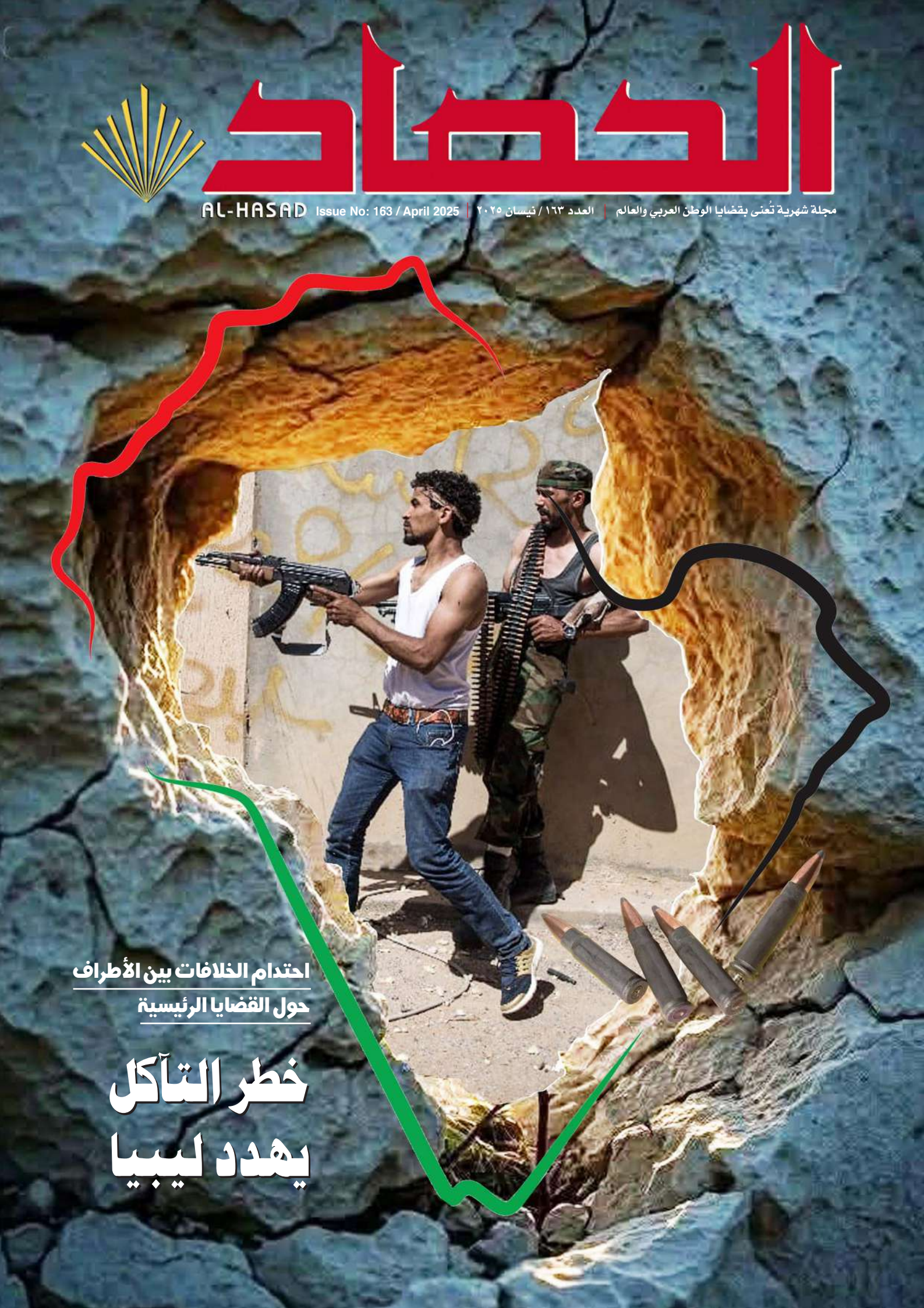

احتدام الخلافات بين الأطراف حول القضايا الرئيسية

خطر التآكل يهدد ليبيا

الحصاد

AL-HASAD

العدد ١٦٣- نيسان ٢٠٢٥. Issue No: 163 - April 2025

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:
إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:
د. مازن الرمضاني
أمين الغفاري

المدير الفني:
حسين حمّود

ثمن النسخة :
٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :
٣٠ جنيهاً سترلينياً

مكتب بيروت
+٩٦١٤٥٥٥٩٠٠

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»:
Telephone: 00 44 (0) 7444660507

"Al-Hasad" Head Office:
Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

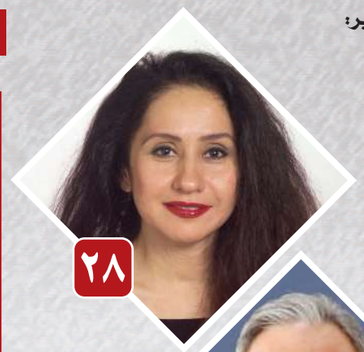

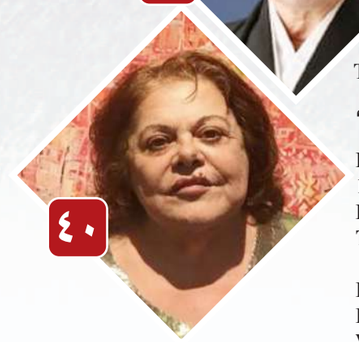

في هذا العدد

ص

موضوع الغلاف ٤
خطر التآكل يهدد ليبيا

قضايا إقتصادية ٢٢
هل يمكن أن تكون مجدداً ألمانيا قاطرة نمو أوروبا؟

مستقبلات ٢٤
تجارب دولية في استشراف مشاهد المستقبل ـ التجربة الفرنسية

قضايا أدبية ٣٠
رياض الصالح الحسين.. شاعر وُلِد من رحم المفارقة

آثار ٤٢
سعيد ظافر: السعودية من البلدان الرائدة في الإنجازات الأثرية والسياحية

كلمة «الحصاد»

لا بدَّ أن يأتي العيد

كنت أود أن أهنئ مسلمي الأمة العربية والعالم بعيد الفطر المبارك، وأن أدعو الله أن يتقبل منا ومنهم أعمالنا الصالحات، صيامنا وقيامنا وأن يرزقنا منه سبحانه أجراً ورحمةً.

إلا أنني لم استشعر الفرحة وما أظنكم كذلك ونحن نشاهد أهل فلسطين وغزة بالذات وهم يُذبحون ويُقتلون ليلاً نهاراً على أعين العالم الذي لم تستطع كل مؤسساته القانونية والإنسانية أن تردع الاسرائيليين عن وحشيتهم وجرائمهم، الفلسطينيون يُستشهدون وهم صائمون، يُهجّرون من بيوتهم، ويُمنعُ عنهم الماء والدواء والغذاء والضياء، والعالم ونحن منهم يتفرجون على الشاشات وغير قادرين على نصرتهم أو الانتصار لحقهم في الحياة، ثم يخيّرون بين الموت في أرضهم أو الموت في بلاد الله التي يقترحها رئيس الولايات الأمريكية مكافأةً للمجرم نتنياهو على أبشع مجزرة عرفها العالم.

لمن يظن أن الاسرائيليين ممكن أن يلتزموا بعهد فلينظر هل التزم آباؤهم وأجدادهم بعهدهم لله ورسله من قبل؟ وها هم أولاء ينقضون اتفاقاتهم مع المفاوضين عرباً أو من الدول التي تحميهم وتدعمهم بالمال والسلاح، فبدلاً من الانسحاب من غزة والضفة الغربية تدفع جيوشهم لتحتل أجزاء من جنوب سوريا وجنوب لبنان بعد ان تم توقيع هدنة بين الأطراف التي كانت تهددهم بالموت.

فمتى ستتحرك الشعوب المغلوبة على أمرها من قِبَلِ الحكام الذين وضعوا أيديهم بأيدي أعداء شعوبهم لتفرض عليهم أن يتخلصوا من هذا العار الذي سيلازمهم أبد الدهر؟

وحتى يأتي العيد نحن بالانتظار. ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:
www.alhasad.co.uk

احتدام الخلافات بين الأطراف حول القضايا الرئيسية مثل الدستور والقوانين الانتخابية

خطر التآكل يهدد ليبيا

القاهرة: صفاء عزب

«إن الإنقسامات المتواصلة بين القوى المختلفة في ليبيا تهدد بتآكل وحدة هذا البلد العربي الإفريقي».. تصريح لوكيلة الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية وبناء السلام روزماري ديكارلو. وهو يعكس حجم القلق الأممي على مستقبل ليبيا في ظل تدهور الأوضاع السياسية والخوف من تجدد القتال وعودة شبح الحرب التي دمرت كل شئ في البلاد على مدار أكثر من عقد من الزمان.

في ظل ما تشهده من أحداث ساخنة ومتلاحقة خلال الفترة الأخيرة، تمر ليبيا بمرحلة حرجة في تاريخها تجعل مستقبلها على المحك. بين انقسامات وصراعات بين فصائل عسكرية وخلافات حادة بين أطراف سياسية إلى حد الدعوة للثورة كما نادى صلاح بادي بها ضد الحكومتين المتنازعتين على السلطة لاتهامهما بالفساد وصولا لمحاولات تصفية جسدية لشخصيات سياسية، تعيش ليبيا أزمات صعبة يعمق من تأثيرها بعض الظواهر الغريبة، المتواكبة مع هذه الأحداث السياسية، مثل حرائق البيوت الغامضة وهجمات أسراب الجراد على الجنوب الليبي بما يهدد الأمن الغذائي ويزيد من معاناة الشعب الليبي. وكان ذلك دافعا لبعثة الأمم المتحدة في ليبيا لإصدار بيان أعربت فيه عن قلقها مما أسمته الإجراءات الأحادية من جانب أطراف ومؤسسات ليبية سياسية وفاعلة في شرق البلاد وغربها وجنوبها بشكل يؤدي لتصعيد التوتر وتقويض الثقة والإمعان في الانقسام المؤسسي والفرقة بينهم.

10سنوات قتال و3 أعوام هدوء حذر بين حكومتين متصارعتين على السلطة

في السابع عشر من فبراير 2011 اندلعت أحداث الثورة في ليبيا وانتهت بسقوط نظام القذافي وسط أحلام تحقيق العدالة والديمقراطية في ظل نظام حكم مدني مأمول، لكن الفوضى عمت البلاد وانتشر القتال ووصلت حالة التشرذم إلى تعدد الجبهات المسلحة المتقاتلة وتعدد الولاءات وتدهورت الأوضاع إلى حالة كارثية تلاشت معها ملامح الدولة بعد انفراط عقدها وتفتتها بين المتصارعين على السلطة فيها، وما زاد من مأساوية المشهد دخول أطراف خارجية على الخط ما جعل ليبيا ساحة للصراع والتنافس المحموم بين قوى الشرق والغرب التي يبحث كل طرف منها عن مصالحه الخاصة ضاربا عرض الحائط بمصالح أبناء الشعب الليبي الذي لم يكن يتخيل أن ثمار ثورته توقفت عند انقسام ليبيا شرقا وغربا بين حكومتين متنازعتين حيث تسيطر قوات خليفة حفتر على شرق ليبيا بينما يسيطر عبد الحميد الدبيبة على الجانب الغربي وفيما بينهما تعاني ليبيا من تشرذم سياسي خطير.

على مدار ما يقرب من عشر سنين استمر القتال فيما بين الليبيين أنفسهم بتأثير من تدخلات خارجية عملت على بث الفرقة لتيسير السيطرة على مقدرات الدولة الليبية وثرواتها.

وبعد جهود مضنية تم توقيع اتفاق جنيف عام 2021 برعاية الأمم المتحدة لوقف القتال الدامي بين قوتي الشرق والغرب في ليبيا التي دمرتها الصراعات لأكثر من عقد منذ سقوط نظام القذافي. وبناء على ذلك الاتفاق تأسست هيئات مؤقتة لإدارة شؤون البلاد وتسيير الأوضاع وهو ما أدى إلى حدوث حالة من الهدوء والاستقرار النسبي خلال السنوات الثلاث الماضية. وكان يفترض تولي سلطة تنفيذية وهي حكومة الوحدة الوطنية والمجلس الرئاسي والتحضير لانتخابات رئاسية وتشريعية في ديسمبر 2021 لكنها تأجلت لأجل غير مسمى بسبب التوترات الأمنية والخلافات السياسية وازدياد حدة الانقسامات وعدم وجود إرادة سياسية لتنفيذ هذه البنود.

وبعد فترة الهدوء النسبي عادت التوترات للمشهد الليبي من جديد وبشكل خطير يهدد وحدة الدولة ويقوض أركانها مما أثار مخاوف المسؤولين الأمميين. وعلى الرغم من وجود أسباب كثيرة للخلافات أهمها افتقاد الثقة فإن هناك نقطة محورية ساهمت في تعميق الانقسامات وترتبط بالتغير الذي حدث في المشهد الليبي فيما يتعلق برئاسة مجلس الدولة الأعلى والذي تولاه خالد المشري بعد إعادة انتخابه رئيسا له مما أشعل الأوضاع نظرا لكونه على خلاف مع حكومة الدبيبة ما جعل مجلس النواب يتحرك لسحب الثقة من حكومة الدبيبة والشروع في حكومة أخرى.

والمثير في الأمر أن الخلافات لم تقتصر على ما بين أنصار الحكومتين المتصارعتين على السلطة وإنما امتدت لتنتشر فيما بين أوصال نفس الفريق. ففي الغرب الليبي توجد ميليشيات متعددة وليس لها قيادة موحدة وكثيرا ما تتشابك معا. وفي هذا الإطار شهدت الفترة الأخيرة مناوشات ومعارك مسلحة بين كتائب تتبع حكومة الوحدة الوطنية دون معرفة دوافعها وانتهت بوساطة فصيل عسكري ثالث وسط حالة من الصمت الغريب من حكومة الوحدة الوطنية، بينما تستغل قوات حفتر الأمر للتوجه غربا. وفي أغسطس الماضي حدث تطويق مسلح لمبنى تابع لمصرف ليبيا المركزي في طرابلس وقد تعرض لأنصار الدبيبة وتم توجيه الانتقاد إليهم بسبب إدارته للميزانية والثروة النفطية.

ويرى مراقبون ليبيون أن ما يحدث في ليبيا من انقسامات حادة لشتى الأطراف السياسية على أنفسها يرجع لأنانيتهم التي كرست لحالة الانقسام العميق بين الحكومتين الليبيتين المتنازعتين، خاصة مع وجود مجموعات مسلحة في المشهد.

وفي المقابل فإن المواطن الليبي الذي كان يتأمل الكثير من الإنجازات عندما قام بثورته، يعاني أشد المعاناة بسبب تدهور مستويات المعيشة بينما لا يرى أملا في الآفاق الليبية الضبابية بل افتقد الثقة في الجميع خاصة بعد الكشف عن وجود تنسيقات بين ميليشيات الشرق والغرب الليبية بما يشي بأن الأمور تدار وفق لعبة سياسية لا تولي مصالح الشعب الليبي الاهتمام المطلوب.

ويمكن رصد الأوضاع الليبية على كافة الأصعدة من خلال مجموعة من المؤشرات كالتالي:

أزمات سياسية وهشاشة أمنية

على الصعيد السياسي تبرز حالة من التعثر المزمن بسبب احتدام الخلافات بين الأطراف الليبية حول القضايا الرئيسية مثل الدستور والقوانين الانتخابية كما أنه لاتزال مسألة إجراء انتخابات عامة في البلاد تشكل تحديا كبيرا وسط الانقسام الحاد حول القوانين المنظمة وجدوى إجرائها في ظل الوضع الراهن. ويعد وجود حكومتين متصارعتين تحكمان في بلد واحد أكبر دليل على تردي الأوضاع السياسية في ليبيا.

على مدار ما يقرب من عشر سنوات استمر القتال بين الليبيين بتأثير من تدخلات خارجية

وبطبيعة الحال تنعكس هذه الأوضاع سلباً على الحالة الأمنية في البلاد وتسهم في هشاشة الأمن وهو ما تستغله الجماعات الإرهابية والميليشيات المسلحة التي أفرزتها الحرب والتي تعتمد بشكل كبير على المرتزقة والقوات الأجنبية وتضرب وحدة الجيش الوطني في مقتل وهو أمر يعرقل توحيد المؤسسة العسكرية المطلوب لحماية أمن البلاد واستقرارها. وللأسف تؤثر هذه الحالة الأمنية مرة أخرى بالسلب على الوضع السياسي حيث أن افتقاد الأمن يمثل تحديات خطيرة لتحقيق أية استحقاقات سياسية أو دستورية مما تم الاتفاق عليه في اتفاق جنيف 2021.

تدهور اقتصادي ووضع إنساني صعب

من المعروف أن ليبيا من البلدان التي يعتمد اقتصادها على النفط بشكل كبير ولذلك فإن التدهور الأمني والسياسي ووجود حالة الاقتتال التي تعرقل عمليات التنقيب واستخراج النفط تؤدي إلى تدهور الوضع الاقتصادي إلى جانب طبيعة الأنظمة الاقتصادية الهشة التي تعتمد على مصدر واحد فقط للعملات الأجنبية كما في حالة الاعتماد على تصدير النفط الخام حيث يجعل البلاد عرضة لأية هزات اقتصادية في حالة تقلب أسعار البترول العالمية.

لذلك كان من الطبيعي أن يؤدي ذلك لتدهور الأوضاع الإنسانية والمعيشية للمواطن الليبي بسبب ارتفاع الاسعار وتدهور الخدمات العامة وهو ما يتوازى مع نقص الخدمات الحياتية الرئيسية كالمياه والكهرباء والرعاية الصحية. وقد دفعت هذه الأوضاع الكثيرين للهروب من جحيم هذه الأوضاع بالتفكير في الهجرة إلى أوروبا واللجوء لسبل غير قانونية كثيرا ما تنتهي بكوارث بشرية من غرق للمهاجرين في مياه »

البحر أو التعرض لجرائم الإتجار بالبشر وغيرها من الجرائم التي تجد بيئة خصبة للانتشار في مثل هذه الظروف الصعبة والمعقدة.

كيف سيكون المستقبل الليبي في ظل معطيات الواقع؟!

من الصعب التنبؤ بملامح المستقبل في ليبيا في ظل حالة التشرذم والانقسامات الداخلية والتدخلات الخارجية ويمكن أن يكون هناك أكثر من سيناريو محتمل ما بين التهدئة والتصعيد.

سيناريو التهدئة

وفيه يمكن أن تنجح الأطراف الدولية والإقليمية في التأثير على الجبهة الداخلية ودفع الليبيين نحو التوافق والاتفاق على حل سياسي يتضمن تحقيق الاستحقاقات المتفق عليها بخصوص الانتخابات الحرة وبناء المؤسسات الديمقراطية والوصول لنقطة الاستقرار.

تدهور الأوضاع

قد يؤدي استمرار التدخل الخارجي إلى تكريس الانقسام وعرقلة محاولات التقريب بين الخصوم السياسيين في ليبيا وهو ما تستغله الجماعات المسلحة هناك وتشتعل حرب أهلية أو يزداد خطر الجماعات الإرهابية التي تتسبب في انهيار كامل للدولة.

بقاء الوضع على ما هو عليه

من المحتمل أيضا أن يسود سيناريو بقاء الوضع الراهن وتستمر سيطرة الحكومتين المتنازعتين على السلطة واقتسامهما البلاد لكنه أمر مرتبط بعوامل كثيرة منها دور القوى الدولية والمحلية وكذلك نزعات التدخل الخارجي وتحويل ليبيا إلى ساحة للصراع بين قوى الشرق والغرب المتنافسة خاصة مع سعي روسيا لوضع موطئ قدم لها في ليبيا للحفاظ على قربها من البحر المتوسط عوضا عن خسارتها لحليفها الاستراتيجي السوري، و هو ما يؤدي إلى حالة استقطاب للإنقسام بين الليبيين إلى فريقين يحظى أحدهما بدعم غربي والآخر بدعم روسي ما يجعل ليبيا ساحة دائمةللصراع الذي يدفع ثمنه الليبيون أنفسهم.

واقع الأمر أن غلبة أحد السيناريوهات على ما عداه يتوقف على عدة عوامل أهمها :

مستوى التوافق السياسي والذي يرتبط بقدرة الأطراف الليبية على الوصول لنقطة اتفاق حول الأمور الخلافية مثل الثروة النفطية وتوحيد مؤسسات الدولة وتقاسم السلطة.

كما يؤثر الوضع الأمني بشكل كبير على توجه السيناريو المحتمل حيث أن الفشل في السيطرة على الجماعات المسلحة ونزع أسلحتها يسهم في تعقيد الموقف وتصعيده لمستوى خطير.

ولاشك أن هناك عاملا ثالثا يرتبط بحجم التدخل الخارجي ومدى تأثيره على مجريات الأحداث الداخلية في ليبيا وكذلك اتجاهات تأثيره ما بين الإيجابي الداعم للحل السياسي والسلبي المعرقل له.

ولا ينفك سيناريو المستقبل عن أثر العامل الاقتصادي لأن قدرة الحكومة على إدارة مقدرات الدولة والنجاح في تلبية احتياجات الشعب يسهم في تحسين الوضع الاقتصادي بشكل عام وتقديم ما يشعر المواطن ببادرة أمل تحقق مزيدا من الطمأنينة والثقة والاستقرار وهي متطلبات ضرورية لحلحلة الوضع السياسي.

أدوار مطلوبة من الجميع

وبقراءة سريعة للواقع نجد أن هناك جهودا حثيثة تبذلها الأمم المتحدة لدعم العملية السياسية في ليبيا وإحياء الحوار بين مختلف القوى المتصارعة. كما أن هناك أدوارا إنسانية لقوى إقليمية ودولية وكذلك أدوار وساطة لتحقيق نفس الهدف. ويبقى دور الليبيين أنفسهم في أن تكون لديهم إرادة حقيقية لبناء دولتهم سواء على مستوى الشخصيات الكبرى والزعماء أوالأحزاب السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، فالجميع يجب أن يعي الدرس حتى لا تسقط بلادهم في براثن حروب أهلية وانقسامات تهدد وحدة البلاد.

ومع ذلك لا يمكن تجاهل أدوار وخطوات أخرى مطلوبة من الأطراف الدولية منها جهود الوساطة سواء من المؤسسات الأممية مثل بعثة الأمم المتحدة

وكذلك دور القوى الإقليمية مثل مصر والجزائر وأطراف دولية أوروبية معنية مثل فرنسا وإيطاليا وألمانيا. فجميعهم مطالبون بتكثيف جهودهم الدبلوماسية للوصول للتهدئة وتقريب وجهات النظر. أيضا من الضروري أن يهتم المجتمع الدولي بتقديم الدعم الكافي سياسيا واقتصاديا للحكومة الليبية المعترف بها دوليا مع تقديم المساعدات الإنسانية للفئات الأكثر تضررا من حالة الاقتتال بين الليبيين.

كما يستوجب الأمر فرض عقوبات لحظر توريد الأسلحة إلى ليبيا لوقف دخولها للبلاد وتهديد أمنها مع تجميد أموال الأفراد والكيانات التي تلعب دورا سلبيا في تصعيد الصراع لتقويض قدراتهم على ضخ أموال لأطراف متقاتلة بما يزيد الوضع اشتعالا. كما تحتاج ليبيا إلى الدعم الدولي المعلوماتي أو الاستخباراتي لمطاردة الجماعات الإرهابية واجتثاثها من جذورها حتى لا تتحول ليبيا إلى بيئة حاضنة لهم. ■

* كاتبة وصحافية

مراقبون: ما يحدث في ليبيا من انقسامات حادة لشتى الأطراف السياسية يرجع لأنانيتهم التي كرست لحالة الانقسام العميق بين الحكومتين الليبيتين المتنازعتين

المقاومة ليست من الماضي فحسب بل هي في قلب الحاضر ووجهة المستقبل

معن بشور*

كم يخطئ من يعتقد ان المقاومة باتت من الماضي ... يخطئ في قراءة الماضي ويخطئ في استشراف المستقبل.

ففي كل مرحلة مررنا بها طيلة صراعنا مع العدو كان يخرج علينا من يعلن ان مقاومة العدو الصهيوني انتهت، وان منطقها بات من الماضي.

بعد نكسة حزيران 1967 قالوا لنا ان مقاومة المشروع الاستعماري قد انتهت. فجاءت معركة الكرامة بعد اشهر (في آذار 1968) التي اطلقت مرحلة من المقاومة الفلسطينية والعربية لستكملتها «حرب الاستنزاف» وشهيدها الكبير الفريق عبد المنعم رياض رئيس اركان الجيش المصري والتي جرى تتويجها في حرب تشرين 1973 حين انتصر على العدو الجيشان المصري والسوري ومعهما الجيوش العربية وقرار تاريخي بحظر النفط العربي. اتخذته الرياض وكافة دول النفط العربي..

بعد معاهدة كامب ديفيد (عام 1979) التي نجح فيها ثعلب الديبلوماسية الاميركية هنري كيسنجر في اخراج حكومة الدولة العربية الاكبر من الصراع مع العدو التاريخي, ولكنه لم يستطع اخراج الشعب العظيم من الصراع , كما لم يستطع اخراج العداء للكيان الصهيوني من عقيدة الجيش المصري. قال البعض يومها لقد انتهى الصراع ولا حاجة للمقاومة بعدها.

في عام 1982 شنّ العدو الصهيوني غزوه على لبنان واحتل عاصمته بعد حصار استمر ثلاثة اشهر (سمي خطأ «بالاجتياح») فيما هو واحد من اطول الحروب العربية الاسرائيلية التي شاركت فيه قوات الثورة الفلسطينية والجيش العربي السوري وكتيبتان يمنيتان من الشمال والجنوب والعديد من المتطوعين العرب والمسلمين والاممين..

ويومها قيل ايضا ان القضية انتهت والمقاومة باتت من الماضي..وجاء اتفاق 17ايار 1983 المشؤوم ليحاول تأكيد المقولة فاسقطته المقاومة اللبنانية بدعم سوري وفلسطيني وروسي، تماما كما طردت المقاومة الوطنية والاسلامية قوات الاحتلال مذعورة من بيروت ثم من ساحل الشوف واقليم الخروب وصيدا وجبل عامل والبقاع الغربي وراشيا وصولا الى التحرير العظيم في 25 ايار 2000 ودون قيد او شرط.

اما في فلسطين فقد ظنّ كثيرون ان المقاومة قد انتهت بعد خروج قوات منظمة التحرير من بيروت (عام 1983) ومن طرابلس الشام (عام 1984).

وبعد اتفاقية اوسلو المشؤومة 1993.

واتفاقية وادي عربة(عام 1984) التي لم تتمكن من الحصول على شرعية الشعب العربي في الاردن الذي لم يتوقف عن التنديد بالاحتلال قبل ملحمة طوفان الاقصى وبعدها. قيل الامر نفسه «المقاومة انتهت وباتت من الماضي». وحين شنت قوات الاحتلال الاميركي والاطلسي حربها لاحتلال العراق (عام 2003 ظن كثيرون ان المنطقة كلها قد سقطت بيد الصهاينة والاميركيين فاذ بالمقاومة العراقية تربك الاندفاعة الاميركية وتعيد زمام االمبادرة الى قوى المقاومة.

وحين اشرقت على الامة والعالم ملحمة طوفان الاقصى كان التنظير شائعا بان الصراع مع العدو قد انتهى وان على العرب والمسلمين ان يرتّبوا اوضاعهم «التطبيعية» وفق مقتضيات صفقة القرن و«السلام الابراهيمي» ليتبين ان هذا صراع لا ينتهي الا بالتحرير، واننا امام مقاومة عربيةو اسلامية لا تتوقف الا بالانتصار الكامل.

وما يقال اليوم كان يقال للجزائريين حين امتشقوا الثورة الكبرى (عام 1954)لينتصروا على استعمار دام 131 عاما. ويقال اليوم للفلسطينيين واللبنانيين

والامر نفسه كان سيقال لليمن الذي شهد حروبا وتقسيما وحصارا لعقود ومع ذلك يخرج اليوم كقوة كبرى تواجه الامبراطوريتين الاميركية والبريطانية ومعهما الكيان الزائل.

اما في السودان فرغم حروب التقسيم والحصار وحرب السنتين التي استهدفت هوية السودان ودوره ورسالته نرى شعب السودان يخرج اليوم منتصرا لقواته المسلحة و«مقاومته الشعبية» ولوحدته ولهويته العربية والاسلامية والافريقية ولدوره ورسالته الحضارية.

اما اللذين يعتقدون ان المقاومة باتت من الماضي فهم يتجاهلون حقيقة كبرى اخرى وهي اننا امام عالم يتغير. ونفوذ استعماري يتراجع. وكيان صهيوني يهتز وقيادته تواصل وحشيّتها وتمددها وهو امر يزيد من حاجتنا للمقاومة ولتمددها كماً ونوعاً، ودراسة معمّقة لتجاربها.

كما على المراهنين على سقوط المقاومة ان يدركوا ان هؤلاء الاعداء يحتاجون لادواتهم المحلية لحين ثم يتخلون عنهم حين يصبحون عبئا عليهم كما رأينا مع شاه ايران ومع حكام كابول واليوم مع زيلينسكي اوكرانيا.

أن يقول البعض ان المقاومة باتت من الماضي فوجهة نظر. اما ان يبني حساباته وسياساته على اساس هذا الوهم فهو خطأ فادح يرقى الى مستوى الخطيئة.

ان تمسكنا اليوم بحقنا في المقاومة ليس لانها الاقوى في النهاية فقط بل اولا لأن دعم المقاومة واجب وطني وقومي وديني وانساني واخلاقي. يحاسب عليه كل واحد منا في الدنيا والاخرة.

□■□

الى المراهنين على العدوان المبررين لجرائمه: المقاومة في لبنان خيار وطني جامع وعابر للطوائف

■ نتمنى ان لا يراهن احد في الداخل على العدوان فمثل هذه الرهانات الداخلية والخارجية فشلت مراراً وتكراراً.

ومن يعتقد ان المقاومة في لبنان محصورة بحزب الله او بحزب واحد مخطئ جدا ففي جنوب لبنان مقاومون من احزاب وقوى وتيارات متعددة ولها شهداء اسلاميون وعروبيون وناصريون ويساريون وسوريون قوميون بالاضافة الى اهالي الجنوب من الناقورة الى العرقوب..

وليتذكر الجميع ابطال المقاومة الوطنية اللبنانية بعد حرب 1982 وشهدائها ، وكيف دحروا الاحتلال من بيروت الى الجنوب والبقاع الغربي وراشيا.

انها ظاهرة تتجدد ، وهي بالتعاون مع الشعب ،التي هي منه، والجيش، التي هي سند له، ستنتصر باذن الله على وحشية العدوان ومنطق الانهزام ودعاة التطبيع ومروجي الفتن .

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

تحديات كبيرة تريدها الولايات المتحدة تلبية للمطالب الاسرائيلية

لبنان من الغاز إلى التطبيع

بيروت: محمد المشنوق*

قطاع النفط والغاز في لبنان هو موضوع بالغ الأهمية، حيث يتداخل فيه الشأن الوطني والاقتصادي مع القضايا السياسية والإقليمية. رغم الإمكانيات الكبيرة التي يُفترض أن يمتلكها لبنان في هذا المجال، إلا أن الواقع لا يزال متعثرًا بسبب مجموعة من التحديات والقيود العديدة. منذ أعوام، تم طرح فكرة استكشاف الغاز والنفط في المياه الإقليمية، وكانت هناك آمال كبيرة في أن تساهم هذه الموارد في إحداث تحول اقتصادي في البلاد. ومع ذلك، تواجه هذه الطموحات العديد من العقبات.

من أبرز هذه العقبات هو النزاع مع إسرائيل حول الحدود البحرية، والذي ساهم في تعقيد جهود لبنان لاستغلال موارده. اتفاقية ترسيم الحدود البحرية المعروفة باسم «اتفاقية ريم» تمثل نقطة تحول في هذا النزاع، ولكن لم يتم تحقيق تقدم كبير في تنفيذها بشكل فعلي.

تنص الاتفاقية على تحديد مناطق الصيد والاستكشاف بين كلا البلدين، ورغم التوقيع، استمرت التوترات السياسية بين البلدين، مما أثر سلبًا على الثقة في استثمارات القطاع.

حقل قاريش، الواقع عل بعد بضعة كيلومترات بالقرب من الحدود اللبنانية الإسرائيلية، هو مثال على التحديات التي تواجه لبنان في هذا السياق. ورغم أن القصف المتبادل ظل مستمراً لأكثر من سنة بين الجانبين، إلا أن إسرائيل استمرت في ضخ الغاز من هذا الحقل، ولم تتعرض هذه المنشآت لأي هجمات، مما يبرز معضلة تحييد اتفاقية الحدود البحرية وقطاع الغاز والنفط عن الحرب وجعل منصة قاريش البحرية بمنأى عن صواريخ حزب الله وقواعد الاشتباك التي تم احترامها بينما كان القصف الاسرائيلي يحصد الدمار في كل البلدات جنوبي نهر الليطاني وشماله وفي ضواحي بيروت وحتى البقاع. هذا الوضع يطرح تساؤلات حول الأسباب المساهمة في عدم إصدار لبنان للمراسيم والاتفاقات الخاصة بإدارة قطاع النفط والغاز المتداخلة والمعقدة.

أولاً، يمكن أن نعزو ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي الذي عانت منه البلاد، إذ أن الحكومات المتعاقبة لم تتمكن من وضع استراتيجيات واضحة لتحفيز الاستثمار. وإذا سعى لبنان نحو تعزيز الاقتصاد من خلال استكشاف النفط

والغاز مستنداً إلى وجود حكومة جديدة قادرة على اتخاذ القرارات الجريئة والمتوازنة، فإن حالة الانقسام السياسي الداخلي والإختلاف حول الموقف الاميركي الطامح إلى تطبيع العلاقات بين لبنان واسرائيل يجعل من الصعب التوصل إلى توافق حول قضايا استراتيجية كإدارة موارد النفط والغاز، واستصدار القوانين اللازمة، مما يسهم في نقل صورة سلبية عن القطاع أمام المستثمرين الخارجيين.

من جهة ثانية، أتت أزمة الفساد وسوء إدارة العوائد الاقتصادية لتكون عاملاً حاسماً في عرقلة التطور في هذا القطاع. يشكك الكثيرون في قدرة الدولة على إدارة الثروات بكفاءة، ويرون أن خطر الفساد قد يؤدي إلى استغلال الموارد بطريقة لا تعود بالنفع على اللبنانيين. هذه المشاعر تغذي القلق بين المواطنين وتعزز الرغبة في وجود آليات رقابية قوية.

إن الإطار التشريعي والتنظيمي الحالي في لبنان يفتقر إلى الكثير من المعايير اللازمة لجذب الاستثمارات. لا توجد قوانين واضحة تتعلق بثروات النفط والغاز، وهذا يتسبب في غموض كبير للمستثمرين الذين يسعون لضخ أموالهم في هذا السوق. هناك حاجة ماسة لتطوير فضاء قانوني يحمي حقوق المستثمرين الأجانب ويسمح للدولة باستغلال الموارد بشكل مستدام وفعال.

وبالإضافة إلى ذلك، يُعتبر الضغط الدولي من العوامل التي تلعب دورًا في إدارة القطاع. ينبغي على الحكومة اللبنانية أن تكون قادرة على جذب الشركات العالمية، ولكنها تحتاج إلى أن تقدم الضمانات اللازمة لتأمين استثماراتهم. وهذا يجعل الأمر أكثر تعقيداً، بما أن النزاعات الإقليمية قد تؤثر على أعين المستثمرين.

من المهم أيضًا تسليط الضوء على الجانب الاقتصادي في لبنان، حيث لا يمكن اعتبار قطاع النفط والغاز معزولاً عن التحديات الاقتصادية الكبيرة التي تواجهها البلاد. الاقتصاد اللبناني يعاني من أزمات متعددة، مثل ارتفاع معدلات التضخم، وانخفاض قيمة العملة، وزيادة معدل البطالة. هذه الظروف تؤثر على قدرة الدولة في تطوير القطاع وخلق بيئة استثمارية محفزة. إن عدم استقرار الليرة يقلل من جاذبية لبنان كوجهة استثمارية، ويجعل الشركات الأجنبية تتردد في الدخول إلى السوق اللبنانية.

أما فيما يخص الثروات الهيدروكربونية، فإن التعزيز الفني والتكنولوجيا يعد أمرًا بالغ الأهمية، إذ يحتاج لبنان إلى تحقيق شراكات مع شركات النفط العالمية التي تملك الخبرة والتكنولوجيا اللازمة لتطوير هذا القطاع. هذه الشراكات يمكن أن تُسهم في تطوير البنية التحتية اللازمة لاستغلال الموارد، بما في ذلك توفير المعدات والتقنيات المستخدمة في التنقيب والإنتاج.

في سياق التحديات البيئية، يمثل الحفاظ على التوازن بين استغلال الموارد وصحة البيئة تحديًا كبيرًا. من المهم على لبنان أن يعتني بقضايا البيئة ويضمن أن تُطبق التقنيات الحديثة بشكل يحمي البيئة المحلية ويقلل من التأثيرات السلبية. هناك حاجة ماسة لتنمية استراتيجية تتعلق بالطاقة المستدامة، وهو ما يحول دون الإضرار بالموارد الطبيعية وكوكب الأرض.

على المجتمع اللبناني أن يتقبل إحداث التغيير في التصورات حول إدارة الموارد. لذلك، يجب تعزيز الوعي بضرورة تفعيل الشفافية والمساءلة، حيث يعد الوقوف على درب الدعم المجتمعي ومشاركة المواطن في القرارات الاقتصادية أمرًا بالغ الأهمية. ينبغي على الحكومة تحقيق مشاركة فعالة وشاملة للمجتمع في القضايا المتعلقة باستغلال النفط والغاز، بما يعزز الثقة ويضمن أن العوائد تعود بالنفع على الجميع.

عندما ننظر إلى مستقبل لبنان فيما يتعلق بقطاع النفط والغاز، تظهر أمامنا مجموعة من التحديات الكبيرة، ولكن هناك أيضًا فرصة هائلة لتحقيق التنمية والازدهار. يتطلب الوصول إلى هذا الهدف وجود رؤية استراتيجية شاملة مع اتفاق سياسي على إبقاء اتفاقية الهدنة بين لبنان واسرائيل عام 1949 إطاراً لأي تطوير وأن لا يقود إلى صيغة التطبيع التي تريدها الولايات المتحدة تلبية للمطالب الاسرائيلية.

تجدر الإشارة هنا إلى مخاوف لدى المترددين امام نقاط اتفاقية ترسيم الحدود لأنها تحمل نقاطاً قد تؤدي إلى ما يشبه التطبيع. فاتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل، والتي تم التوصل إليها بإشراف المبعوث الأميركي عاموس هوكشتاين ، تمثل خطوة مهمة في الجهود المبذولة لحل النزاع حول الحدود البحرية بين البلدين بينما اتفاقية الهدنة تؤكد الحدود البرية ولا تمهد للقرار الأممي رقم ١٠٧١.

عاموس هوكشتاين

مفاوضات ترسيم الحدود البحرية

■ إقرار ترسيم الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل يعد إحدى المحطات المهمة في العلاقات بين البلدين، وقد شهدت مسار المفاوضات تطورات عدة. بدأت المفاوضات بشكل رسمي في عام 2020 عندما استضافت الولايات المتحدة، بوساطة المبعوث الأميركي عاموس هوكشتاين، الجانبين اللبناني والإسرائيلي في جلسات تفاوضية. جرت الجلسات الأولى في شهر أكتوبر من نفس العام في مقر الأمم المتحدة في الناقورة، والتي وُصِفَت بأنها خطوة تاريخية تهدف إلى حل النزاع حول الحدود البحرية المتنازع عليها.

كانت المفاوضات صعبة ومعقدة، حيث كانت تتعلق بمساحة بحرية تقدر بحوالي 860 كيلومتر مربع، وتركزت حول حقوق الاستغلال في الموارد البحرية من الغاز والنفط. خلال هذه المفاوضات، عمل هوكشتاين على تيسير الحوار بين الجانبين، وكان يُعتبر وسيلة لتخفيف التوترات بين لبنان وإسرائيل وتعزيز الأمن في المنطقة.

على المستوى القانوني الدولي، استندت المفاوضات إلى مجموعة من المبادئ التي تحكم حقوق الدولة في الاستغلال البحري. يُعتبر قانون البحار الدولي جزءاً أساسياً في هذه المناقشات، حيث يكفل للدول حقوقاً محددة بشأن المناطق الاقتصادية الخالصة. يعتمد تحديد الحدود البحرية على المبدأ القائم على خط الوسط، أي أنه يجب أن تكون الحدود واضحة دون استفزاز لأي من الطرفين.

إحدى العوائق الرئيسية التي واجهت المفاوضات هي النزاعات القائمة حول تحديد النقاط الجغرافية للحدود البحرية، حيث كانت هناك تباينات واضحة بين تقديرات لبنان وإسرائيل فيما يتعلق بمساحة البحر وطبيعتها. أبدت الولايات المتحدة رغبة قوية في تعزيز هذه المفاوضات باعتبارها جزءاً من سياستها الرامية إلى استقرار المنطقة وتخفيف التوترات.

بعد عام من المفاوضات، توصل الجانبان إلى اتفاقية ترسيم حدود بحرية في المنطقة المتنازع عليها، حيث وقع لبنان وإسرائيل في 27 أكتوبر 2022 على اتفاقية نصت على أسس تحديد الحدود. يُعتقد أن هذه الاتفاقية تُعتبر وثيقة رسمية تعكس القبول بالأطر القانونية المعتمدة دولياً.

2ـ تتعلق الاتفاقية بتحديد الحدود البحرية بين لبنان وإسرائيل في منطقة حيوية غنية بالموارد، وخاصة الغاز والنفط. وتهدف الاتفاقية إلى وضع حد للتوترات القائمة وتعزيز التعاون وهو تطبيع في استغلال الموارد البحرية.

3ـ مساحة النزاع: تدور النزاعات حول منطقة تمتد لحوالي 860 كيلومتر مربع، والتي يتداخل فيها الحقل الغازي اللبناني "قانا" مع حقل "كاريش" الإسرائيلي. ويعتبر الجانبان أن لهما حقوقًا في استغلال هذه المنطقة.

4ـ حقوق الاستغلال: تؤكد الاتفاقية على حقوق كل دولة في استغلال الموارد المحاذية لحدودها البحرية. تهدف إلى تنظيم عمليات التنقيب والاستخراج بشكل يحد من النزاع وهذا مدخل للتطبيع.

5ـ تحسين الأوضاع الاقتصادية: إذ تشير الاتفاقية إلى أهمية استغلال الموارد البترولية لتحسين الأوضاع الاقتصادية في لبنان، باعتبار أن هذه الموارد تمثل فرصة لتعزيز التنمية.

6ـ إمكانية التعاون الإقليمي: تأمل الاتفاقية في فتح المجال أمام تعاون إقليمي في مجالات الطاقة بين لبنان والدول المجاورة، ما يمكن أن يسهم في استقرار المنطقة.

7ـ استمرار المفاوضات: رغم التوصل إلى الاتفاق، يُفترض أن يستمر الحوار بين لبنان وإسرائيل لضمان تنفيذ النقاط المتفق عليها وتجاوز العوائق المحتملة.

8ـ التفاهم على آلية التقييم: قد تشمل الاتفاقية التفاهم على آليات لمراقبة وإدارة الاستغلال، مما يساعد على تجنب النزاعات المستقبلية.

9ـ استخدام وسطاء دوليين: تم التأكيد على إمكانية الاستعانة بوسطاء دوليين لتنفيذ الاتفاق وضمان الأنظمة الدولية المتعلقة بالحدود البحرية.

10ـ مشهد الإقليم: تتغير الديناميكيات في الشرق الأوسط بسرعة، ويمكن أن تؤثر العوامل الجيوسياسية، مثل العلاقات مع إيران ودول الخليج، على تطبيق هذه الاتفاقية.

رغم التوقيع على الاتفاقية، يبقى الوضع معقدًا، لكن وجود إشراف دولي يمكن أن يسهل عمليات التنفيذ ويقلل من احتمالات النزاع. ورغم القول ان على جميع الأطراف المعنية أن تلتزم بالبنود المتفق عليها والبحث عن قنوات تعاون لتعزيز الاستقرار في البحر الأبيض المتوسط، فإن التطبيع غير المباشر قد ينزلق إلى تطبيع مكشوف لا يحتمله الواقع اللبناني اليوم.■

* صحافي - وزير لبناني سابق

توغّل لقوات الاحتلال
في جنوب لبنان

توسّع الاحتلال في الجنوب يعرقل مفاوضات الحدود

العهد متضرر من فشل المسعى الدبلوماسي فما البديل؟

بيروت ـ غاصب المختار*

يبدو ان السلطات اللبنانية الرسمية استسلمت للأمر الواقع الاسرائيلي والاميركي بعدم انسحاب قوات الاحتلال من التلال الخمس وبعض المواقع في عدد من قرى الحدود الجنوبية، برغم مضي نحو شهرعلى انتهاء مهلة تنفيذ الانسحاب الممدّدة اصلاً، وبقيت تعوّل على المساعي الدبلوماسية والاتصالات واللقاءات مع اعضاء لجنة الاشراف الخماسية على تنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار، لا سيما الجانب الاميركي منها، برغم انحيازه السافر لجانب الاحتلال وتغطية كل ارتكاباته، ومنحه مزيداً من الوقت والحرية في تدمير ما تبقى من حياة ومقومات عيش واحتمالات عودة الاهالي الى قراهم.

وتلقى رئيسا الجمهورية جوزاف عون والحكومة نواف سلام كثيراً من الوعود الاميركية والكلام المعسول، ومؤخرا بإتصال مستشار الامن القومي الاميركي مايكل والتز بالرئيس عون ولم يحصل منه سوى على مزيد من الوعود بمساعٍ جديدة لتحقيق الانسحاب واشادة بإنتشار الجيش اللبناني، الذي اعاق الاحتلال ولا زال يعيق انتشاره في باقي مناطق الجنوب، لكن مصادر رسمية افادت لـ «الحصاد» ان الكلام الذي نسمعه من الاميركي جميل، لكن المهم ان نلمس شيئاً على الارض، ولذلك ننتظر تحقيق الوعود الاميركية ولانملك خياراً آخر.

لكن موقع «أكسيوس» الاميركي نقل عن مسؤولين اميركيين لم يحددهم قولهم كلاماً خطيراً مفاده: «ان هناك تفاهماً بين تل أبيب وواشنطن وبيروت على استمرار الوجود العسكري الإسرائيلي لأسابيع أو أشهر. وأنّ الوجود الإسرائيلي هدفه تمكين الجيش اللبناني من تأمين استقرار الوضع في جنوب لبنان، وضمان أنّ حزب الله لم يعدْ يشكّل تهديداً». وهذا يعني مزيدا من استباحة الاراضي والسيادة اللبنانية وقتل وخطف الجنوبيين وتدميرالمزيد من منازلهم ومنشآت قراهم.لكن جهات وزارية لبنانية نفت لـ «الحصاد» وجود مثل هذا الاتفاق.

وبسبب التفرد الاميركي والاسرائيلي بالواقع الميداني تقف فرنسا العضو الاساسي الثاني في لجنة الاشراف على آلية تنفيذ القرار 1701 ووقف اطلاق النار وانسحاب الاحتلال عاجزة عن تحقيق اي خطوة تفيد في الإنسحاب، برغم كل المساعي التي بذلتها ومنها مساعي رئيس الجمهورية ايمانويل ماكرون ووزيرخارجيته وسفيره في بيروت، وبرغم الاتصالات المباشرة التي تجريها فرنسا وماكرون شخصياً مع الكيان الاسرائيلي وبخاصة مع رئيس حكومته بنيامين نتنياهو، لكن عبثاً، اذا تؤكد مصادر دبلوماسية مطلعة على موقف فرنسا لـ "الحصاد"، ان الاتفاقات الجانبية بين اميركا واسرائيل اقوى وافعل من اي اتفاقات او التزامات اخرى ولو رعتها الامم المتحدة، والاتفاق الجانبي واضح في تبني الادارة الاميركية لسياسات اسرائيل ليس في لبنان فقط بل وفي سوريا ايضاً، حيث تقوم قوات الاحتلال بتثبيت نقاط لها داخل الاراضي السورية، برغم الحديث الاميركي عن ضرورة حفظ استقرار وامن سوريا وسيادتها كما استقرار لبنان وامنه وسيادته. لكن حتى الان كل المسعى الدبلوماسي فشل فشلاً ذريعاً.

لكن ما يميزفرنسا عن اميركا في لبنان بحسب المصادرالدبلوماسية، انها «لاعب غير مباشر» ايضاً خارج اتفاق وقف اطلاق النار، وهي بموازاة الانحياز الاميركي لإسرائيل، تحاول ان تحقق نوعاً من التوازن السياسي بإنحيازها غير المباشر للبنان وتبنيها لكل مطالبه وتوجهاته حتى لا يكون مستفرداً.

وتوضح المصادر ان فرنسا ساهمت من خلال وجودها في لجنة الاشراف ومن خلال آلية المراقبة الموضوعة في معالجة 250 حالة

تخالف اتفاق وقف اطلاق النار في الجنوب منذ بدء تنفيذه في كانون الاول من العام الماضي، كما ساهمت بشكل غير مباشر عبر تبنيها لمطالب لبنان في تصليب موقفه ليكون صارماً وحازماً في مواجهة الانتهاكات الاسرائيلية للإتفاق والدعم الاميركي له. وتشير المصادر ايضاً الى دورفرنسا عبر اللجنة الخماسية العربية ـ الدولية في دعم مواقف لبنان، ومتابعتها للمراحل اللاحقة المرتقبة بعد جهدها في انتخاب رئيس الجمهورية وتشكيل الحكومة والمساهمة في تنفيذ برنامج العهد والحكومة، وتقول: ان الفرق بين الفرنسي والاميركي ان فرنسا تعلم جيداً تفاصيل النسيج اللبناني منذعهد الاستقلال وتراعي خصوصياته الدقيقة، خلافاً للاميركي المهتم فقط بمصالحه ومصالح الكيان الاسرائيلي والبعيد جداً عن مراعاة اوضاع لبنان وخصوصياته وطبيعة تركيبته.

اقتراحان

وثمة من طرح مؤخراً، كنوع من الضغط اللبناني على لجنة الاشراف على الاتفاق وعلى الاميركي بشكل خاص اقتراحين: الاول، مقاطعة لبنان لإجتماعات لجنة الاشراف طالما انها لا تقوم بواجبها الكامل في إلزام الاحتلال بتنفيذ الاتفاق وتكتفي بمعالجة بعض الامور السطحية، بدل صب الجهد على وقف ارتكابات الاحتلال من تدمير للحياة في قرى الجنوب والتي استمرت شهرين و20 يوماً حقق فيها الاحتلال ما لم يحققه في الحرب.

والاقتراح الثاني لجوء الحكومة اللبنانية الى طلب تعديل الاتفاق بحيث يتضمن بنوداً الزامية اكثر تشدداً وتغيير آلية المراقبة المتبعة وغير المجدية، وتكليف اليونيفيل بمهام اكثر تشدداً في وقف الخروقات والانتهاكات الاسرائيلية، على الاقل من قبيل الاحتجاج السلبي العملي لا اللفظي فقط.

وحسب مصادر رسمية، فإن رئيس الجمهورية يحذّر من ان بقاء الجيش الإسرائيلي في النقاط الخمس، لأنه سيقدّم لحزب الله او لسواه، الذريعة التي يحتاج من أجل رفض تطبيق القرار 1701 ورفض تنفيذ اتفاق وقف النار ورفض تسليم السلاح، لا جنوب نهر الليطاني ولا شماله. والاحتلال الاسرائيلي، تضيف المصادر، سيُضعف حجة الدولة اللبنانية في اصرارها على التقيد بالقرارات الدولية وسيضعف موقفها امام مَن يريدون التحرير بقوة السلاح، اذ كيف لها ان تطالب المقاومة مثلا بعدم الاقدام على اي رد فعل عسكري لقتل المدنيين والغارات شبه اليومية على قرى الجنوب والبقاع طالما ثمة احتلال لأرض لبنانية؟ وكيف لها أيضا أن تقنعه بتنفيذ الـ1701 بينما تخرقه اسرائيل في صورة فاضحة، بوجود جيشها في اكثرمن 5 مواقع لبنانية مستحدثة؟

تتابع المصادر، يلفت الرئيس عون انتباهَ رعاة اتفاق وقف النار، خاصة واشنطن، الى هذه الامور وينبهها من تداعيات بقاء الاحتلال على رغبة لبنان الرسمي في الوقوف تحت كنف الشرعية الاممية والدولية وعلى التعاون في تنفيذ القرارات الدولية، وقد وصلت هذه الرسالة الى البيت الابيض فوعد مجدداً بأنه سيضغط لاخراج اسرائيل في اقرب وقت من الاراضي اللبنانية، وإلا فإن الاوراق ستُخلط مجددا في لبنان وتعرقل المسار الذي كان مرسوماً للعهد والذي رعى ولادتَه الاميركيون واللجنة الخماسية الدولية.

لكن ثمة من يؤكد أن التوازن السياسي والدبلوماسي بين لبنان من جهة والادارة الاميركية والكيان الاسرائيلي من جهة ثانية مفقود، وكل مساعي لبنان وفرنسا لوقف الانتهاكات المعادية وتطبيق الية تنفيذ القرار 1701 فشلت. عدا استحالة تقوية الجيش اللبناني بالسلاح والعتاد الحديث الكافي الذي يمكن ان يؤهّلَهُ للرد على الاعتداءات الاسرائيلية ولو بالحد الادنى، لكن حتى الرد برصاصة ممنوع على الجيش مقابل الباب الاميركي المفتوح امام اسرائيل بالتسليح وللقيام بماتريده من توسيع احتلالها التدريجي لمناطق جديدة في قرى الجنوب الحدودية وقطع الطرقات بين القرى ومنع استكمال انتشار الجيش اللبناني وفق خطة الانسحاب الاسرائيلي المنصوص عنها في اتفاق وقف اطلاق النار، بل واستهداف الجيش بشكل متواصل بالقصف والنيران.

خطر على العهد الجديد

هذا التوسع الاحتلالي يعقد اكثر لاحقاً مهمة لبنان بالتفاوض مع الكيان الاسرائيلي حول تثبيت الحدود الجنوبية، وبعد ان كان الحديث قبل سنتين يدورحول 13 نقطة قديمة محتلة تحفظ عليها لبنان في العام 2006، اصبح التفاوض اصعب مع الاحتلال مع اضافة التلال الخمس المحتلة والتوغل اليومي لقوات الاحتلال في اراضٍ جنوبية حدودية يقيم فيها نقاطاً ثابتة تضاف الى المناطق والنقاط الاخرى المحتلة. ولعل الكيان الاسرائيلي يقوم بتوسيع احتلاله ليس لأسباب امنية فقط، بل من اجل تحسين شروط تفاوضه لاحقاً وفرض شروط جديدة على لبنان سيكون مضطراً ربما لقبولها كلها او معظمها تحت وطأة العجز والضغط السياسي والانحياز الاميركي.

في الخلاصة، تقول جهات سياسية لبنانية: بات الحديث عن مطالب اميركية جديدة من الحكم والحكومة في لبنان لا يقتصر فقط على ماتريده الادارة الاميركية الجديدة لإدارة لبنان واختيار من يناسب سياساتها في الوظائف الادارية من رتبة وزير ونزولاً الى الاجهزة العسكرية والامنية، بل تعداه الى إملاءات اوسع واعمق واخطر بكثير من الامورالاجرائية الداخلية، تتعلق بترتيب وضع المنطقة ككل ودور لبنان المستقبلي فيها وفق ما تريده الادارة الاميركية لا وفق ما يراعي مصلحة لبنان وتوازناته الدقيقة والحساسة والتي لا يعيرها الاميركي اي اهتمام، وصولاً الى ضم لبنان الى "الاتفاقيات الابراهيمة" لتطبيع العلاقات مع الكيان الاسرائيلي، بعد الرهان الاميركي ـ الاسرائيلي على انضمام السعودية ومن ثم سوريا وغيرهما.

يبقى السؤال: هل يستطيع الحكم والحكومة في لبنان اقناع الادارة الاميركية ان مثل هذه الحلول لا يمكن ان تفرض فرضاً على لبنان المتنوع الاتجاهات، وان اي املاءات اميركية ستفجر بوجه الحكم غضب قوى سياسية وطائفية اساسية، لا سيما في ظل الامتعاض من التدخل الاميركي في تفاصيل الحياة السياسية اللبنانية والذي عبّرت عنه اكثرمن جهة سياسية، ما قد يعرقل انطلاقة العهد الجديد والحكومة الجديدة في حال تشكلت جبهة معارضة قوية وواسعة ضد التوجهات الاقليمية الجديدة؟

لذلك صار لزاماً، حسب مصادر سياسية، على الحكم والحكومة البحث عن خيارات اخرى سياسية، اذ يُمكن للبنان ان يستعمل حقه المنصوص عنه بالاتفاق لطرد الاحتلال بكل الوسائل الممكنة، وان سلاح المقاومة ضرورة قصوى ولو من باب التلويح به على الاقل ووضعه على طاولة المفاوضات.

* صحافي وكاتب سياسي

وزير الداخلية اللبناني أحمد الحجار لـ «الحصاد»:

الأمن الداخلي والحدود مع سوريا أولويات أساسية

بيروت: غاصب المختار

هو ابن السلك العسكري، وتولى مسؤوليات كثيرة ومهمة خلال عمله في المديرية العامة لقوى الامن الداخلي ومديرمعهد التدريب والتطوير وكرئيس لحرس رئاسة الحكومة. ونظراً لخبرته في المجالات الامنية والادارية كان مقدّراً له تسلم وزارة الداخلية.

وفي حديث خاص لـ «الحصاد»، أكد وزير الداخلية والبلديات العميد أحمد الحجار عقب تسلمه مهامه رسمياً، أن الأمن يأتي في مقدمة أولويات الوزارة، سواء على المستوى الداخلي لمكافحة الجريمة وحماية المواطنين، أو في الجنوب لتعزيز الاستقرار والتحرر من الاحتلال الإسرائيلي. كما شدد على أهمية ضبط الحدود مع سوريا بعد تسلم السلطات الجديدة هناك، بهدف منع التوترات الأمنية ووقف عمليات التهريب.

وأشار الوزير الحجار إلى أن لبنان تجاوز مراحل صعبة، مؤكداً أن الجهود مستمرة لاستكمال التحرر من الاحتلال الإسرائيلي، بالتنسيق مع الجيش اللبناني، وتنفيذاً للقرار الدولي 1701. كما أكد العمل على ضبط الأوضاع الأمنية على الحدود السورية، بما يحقق الاستقرار المطلوب.

وأضاف: لن ندخر جهداً في تنفيذ التزامات الوزارة، خاصة في ما يتعلق بالاستحقاقات الدستورية، وعلى رأسها الانتخابات البلدية والاختيارية ومن ثم النيابية، المقررة في شهر أيار المقبل. إن موقفنا واضح وثابت، ونواصل الاجتماعات لضمان حسن سير التحضيرات. وأي حديث عن نية تأجيل الانتخابات لدواعٍ تقنية أو لوجستية لا أساس له من الصحة.

الامن مسؤولية جماعية

وفي رده على سؤال حول الوضع الأمني في بعض المناطق، أوضح الوزير أن الوضع الأمني يتحسن يوماً بعد يوم، وأن الدولة ملتزمة ببسط سلطتها على كامل الأراضي اللبنانية. وأكد أن قوى الأمن الداخلي جاهزة للقيام بدورها في حفظ الأمن والاستقرار.

وقال الوزير الحجار: الأمن مسؤولية جماعية، تتشارك فيها كل المؤسسات والأجهزة الرسمية والمواطنون. إنه ليس مجرد إجراءات يومية، بل منظومة مترابطة تتطلب استراتيجية متكاملة لمكافحة الجريمة. لدينا القدرة والجدية في متابعة الجرائم وكشفها، وقد تمكنت الأجهزة الأمنية من تحقيق إنجازات استثنائية في هذا

وزير الداخلية والبلديات اللبناني العميد أحمد الحجار

المجال، عبر توقيف مرتكبي الجرائم بسرعة قياسية. هذا النجاح يجب البناء عليه وتعزيزه، كما نعمل على تعزيز الأمن الاستباقي لمنع وقوع الجرائم".

وتابع وزير الداخلية: أن كافة الأجهزة الأمنية التابعة لوزارة الداخلية ستعمل بالتنسيق الكامل مع الجيش اللبناني، وضمن توجهات الحكومة، مشيرًا إلى أنه منفتح على تلقي شكاوى المواطنين والعمل على الحد من معاناتهم.

وعن توقعاته من الحكومة الجديدة، قال الوزير الحجار: نحن كما سائر المواطنين، نأمل خيراً مع هذه التشكيلة الوزارية التي تضم نخبة من الكفاءات المشهود لها. الحكومة أظهرت إرادة حقيقية لاختيار شخصيات قادرة على العمل بجدية وتجانس. لا شك أننا نواجه أزمات كبيرة، لكننا لم نفقد الأمل، وسنقرن القول بالفعل عبر العمل الدؤوب. قد لا نتمكن من تحقيق كل تطلعات المواطنين دفعة واحدة، لكننا مصممون على بذل أقصى الجهود. الناس تراقب وتدرك الواقع، وسيكون الحكم لها في نهاية المطاف.

سأعمل من خلال الحكومة على تحسين أوضاع الموظفين المدنيين والعسكريين والمتقاعدين وسأكون صوتهم في مجلس الوزراء

وحول أوضاع المؤسسات الأمنية، خاصة وضع العسكريين المادي والمعيشي، قال الوزيرحجار: أن الأزمة الاقتصادية انعكست سلباً على الجميع، ومن ضمنهم العسكريين في مختلف الأجهزة. وأنا ضابط متقاعد وأدرك حجم المعاناة التي يواجهها الموظفون المدنيون والعسكريون والمتقاعدون. سأعمل من خلال الحكومة على تحسين أوضاعهم، لأن من واجب الدولة أن تقدم الدعم اللازم لجميع أبنائها. وسأكون صوتهم في مجلس الوزراء، وسأسعى لضمان حصولهم على حقوقهم.

أما بشأن تثبيت الأمن في الجنوب بعد الحرب، فأكد الوزير الحجار أن الأولوية للحكومة هي تحرير النقاط المحتلة، مشيراً إلى أن القوى الأمنية الشرعية لم تغب عن الجنوب حتى في أصعب الظروف، حيث قدّمت شهداء في سبيل حفظ الأمن. وأوضح أن الوزارة تعمل، بالتنسيق مع الجيش اللبناني، على فرض سلطة الدولة وتعزيز الوجود الأمني في مختلف المناطق، لضمان الاستقرار.

وفي ما يتعلق بعمل المديرية العامة للأمن العام، بخاصة التنسيق في ملف النازحين السوريين، أوضح الوزير حجار «أن مؤسسة الأمن العام تقوم بواجباتها كاملةً في هذا المجال وقد أنجزت الكثير ومازالت. أما التنسيق في ملف النازحين السوريين فهو مستمر حتى تأمين العودة الآمنة والكريمة لهم».

وهنا أشاد بجهود اللواء الياس البيسري وعلى عمله الدؤوب على رأس المديرية العامة للأمن العام.

وأضاف: ايضاً نتابع بشكل مكثف أوضاع السجناء في السجون اللبنانية وخاصةً السوريين منهم، كما نراقب التطورات الإقليمية التي قد تؤثر على ملف النزوح. ومؤخرا نشهد زيادة في عمليات العودة إلى سوريا، ونأمل أن تساهم هذه التطورات في حل هذا الملف، خصوصاً مع الدور الفعال الذي يضطلع به الأمن العام على مختلف المستويات الأمنية والإدارية.

واختتم الوزير الحجار حديثه بالتعبير عن تفاؤله إزاء المرحلة المقبلة، برغم التحديات الجسيمة التي يواجهها البلد، قائلاً: برغم الأزمات التي عصفت بلبنان، نحن متفائلون بإيجاد حلول تدريجية للأزمات المتراكمة، من خلال تضافر الجهود والعمل المشترك بين مختلف المؤسسات.

وجهة نظر

من هو الرئيس الذي سيصرخ: «أنا هو الموت»؟

البروفسور
نسيم الخوري*

لا يمكننا للإجابة ببساطة سوى التفكير سلفا بإسرائيل ومن خلفها إمعان الدول الكبرى وحتى الصغرى والمتوسطة لدى طرحنا هذا السؤال الضخم والتاريخي المُقترح والمعقد والصعب وكأنه المُقيم أبدًا في نفوسنا وتاريخنا ونصوصنا التي تسكننا بالخوف من المستقبل؟

لا يمكن التفكير للحظة بحثا عن اجوبة دون العجز عن سرد تواريخ فلسطين حتى مستقبل غزّة وجنوبي لبنان وبقاعه وضاحية عاصمته بيروت وصورها التدميرية الهائلة ودك المدن الأثرية وملامح التواريخ والقرى القديمة والمعاصرة وقتل النساء والأطفال...الخ الى المشاريع والخرائط الجديدة الغامضة؟

وللمزيد: كيف يمكن لأي عقل عربي تفسير او فهم تراكم صور الخرائب عبر هذا التاريخ المعاصر الثقيل بدءاً من تهديم بغداد الحضارة العريقة وصولا إلى غزة ولبنان وباستعراضية غريبة عبر شاشات العالم ومسرحا مفتوحا للعنف تحت أنظار البشرية.

قد يجرنا العنوان نحو السؤال المُلح:

ألم يتغيّر أو يتبدل موقع العرب فوق خريطة هذا العالم؟

يمكنني مقاربة التفكير للإجابة عبر الزوايا التالية:

أ ـ الزاوية الأولى: قريبة وباقية ملتهبة بأحداثها ونتائجها وخرائبها ودمغت تاريخنا المعاصر أعني منذ الـ 2003 في العراق صعوداً نحو الـ 2011 تاريخ بدايات "ثورات الربيع العربي وصولا الى المستحيلات في نقل الشعوب هجرة اختيارية او اجبارية كما تساق الأغنام.

«أي دم تبيس عق الربيع العربي المستورد»؟

تضعني هذه الزاوية في ظلّ تشابك وتعقيدات وإفرازات تتجدّد بين الشرق والغرب وبين الإرهاب والعالم. ويظهر العرب فيها محاصرين في خياراتهم الصعبة التي قد تشوّه بلادهم وقناعاتهم من ناحية بما يلبسهم ظلماً الإرهاب من ناحية ويؤلّب الدنيا ضد المسلمين للبحث الغريب الذي يربكنا أبداً عنوة بأقنعة الدين بنسخه الكثيرة والمقترحة وهذه مسائل لا تؤدّي سوى الى تجدد الدروب الدموية المستحيلة.

ويصبح البحث عن التغيير بالقوّة الى الإقامة في ملامح حرب عالمية ثالثة غير معلنة قد تناسب هويتها الجديدة ملامح العصر الذي يجذبنا لأن نفتن فيه ونعيشه لكأنّنا نقبض عليه لكنّنا لا نهضمه وسنعجز عن متابعة أفكاره وابتكاراته ومقتنياته ونوازعه المسقبلية.

هكذا يستمرّ معظم المسلمين والعرب بتوجّهاتهم وتطلّعاتهم التاريخية وبأصواتهم المتعدّدة والمتشابهة منقسمين يتوحّدون بين نقد الغرب ورفضه أو قبوله وتحدّيه، ويكابدون بسياساتهم المشتّتة وأنظمتهم المتحيّرة الكوارث المريرة التي قد تتجاوز كثرتهم وخلافاتهم . نحن للأسف مجدّداً، حيال أزمات فكرية وحضارية كبرى تجعلنا مجدداً بين دولتين عظميين واحدة أميركية أوروبية تحضن اسرائيل وأخرى صينية محايدة وروسيّة حاولت وتحاول جاهدةً بالرغم من نسق زيلنسكي أوكرانيا المسنود بأوروبا وبعطف دونالد ترامب في ولايته الجديدة أو بغضبه وتحقيره الأخير لرئيس أوكرانيا ، استعادة عظمتها المفقودة عبر أي أرض عائمة بالنفط والغاز والمعادن الثمينة والتقاتل حتى تهديم مجد النصوص والأفكار والحضارات من ناحية والانشغال بلعبة التقنيات والمستوردات العالمية في الوقت نفسه. إنه التيه العربي بل المشرقي بين مفاهيم الحداثة والتحديث والتراث والمعاصرة والغير والتغيير وللإبقاء علينا امتدادا لا ينتهي من الكنوز الأرضية المهدّدة ربما بالنفاذ والجمود المفروض بين استبدادية الإنتاج الدولي واستبدادية الاستهلاك.

ما يستحقّ التأمّل هنا أنّ الحلول الافتراضية تبدو مسنودة بشكلٍ دائم الى فكرة القدريّة النهائيّة بالمعنى المألوف التي لا تحتاج الى براهينٍ مع أنّها فكرة نلاحظها تتمدّد في الأذهان وترتاح في القناعات أمام قساوة القتل والإبادة والتدمير. ولا ننسى أنّها فكرة قد تختصرها حكمة إغريقية قديمة جديرة بالتأمّل ترى «أنّ الآلهة لا تعاقب البشر حين تغضب عليهم، وإنّما تسلّط عليهم أنفسهم».

ب ـ الزاوية الثانية: وترتكز الى تحقيق الفرضيّة التي ترمي بأثقال الحضارة المشرقية وأعبائها القديمة عبر خلط السياسة بالدين والإسلام بالمسلمين الجدد بما يجعلهم في قلب العالم وخارجه في الوقت نفسه، يغذّي أحوالهم تلك السهولة في يقظة مذاهبهم ومدارسهم واجتهاداتهم ونزاعاتهم. ويمكنني أن أحشو هذه الزاوية بالمعادلة التالية:

يتعاظم الخوف من الإرهاب حيث لا يتوحّد البشر اليوم وفيهم المسلمون أكثر من أيّ زمنٍ مضى. ربّما هي المرّة الأولى التي يفقد فيها الفكر قدرته تحت وطأة المشاعر والانطباع الحماسي العام الذي لا يتجاوز الفكر أو التفكير المعاصر الاستهلاكي لكنّه يلغيه بل يفرغه من كلّ قيمة إنسانية.

ولّد هذا الفكر تثاقفاً مثمراً وغنياً بين الشعوب والحضارات وتأثيراً متبادلاً، ولطالما كان أجدادنا مبدعين في المجالات كلّها تفكيراً وإنتاجاً أو عن طريق النقل والترجمة ، لكنّ الفلسفة عجزت عن إيجاد الأجوبة النهائية للأسئلة الكبرى كالتي أطرحها وفشلت فشلاً ذريعاً في توحيد البشر ، وراحت تتواضع نحو مسائل عصرية مثل البيئة والصحة والرياضة أي أنّها خرجت من مقولة الفيلسوف كانت:" أنا أفكّر إذن أنا موجود" لتهبط الى مقولة الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر: "أنا موجود إذن أنا أفكر" والتي جاءت رفضاً فلسفيا عارماً يومها للحرب العالميّة الثانية.

وفشلت الأديان حتّى التوحيدية منها وسقط الفكر الإلحادي بدوره في توحيد البشر، ومثلهما اهتزت صدقيّة العلم الذي شارف المستحيل في توحيد البشر عبر وجهه القبيح النهم في صناعة الأسلحة وتغذية الحروب وتسخير المعارف والتكنولوجيا لأغراض الهجوم والعنف والبراعة في القتل للإستثمار. قد تبرز أضخم المعضلات التي نعاني منها اليوم، بعد انكشاف المجتمعات وسقوط الأغطية والأساطير بزوال الحدود والحواجز الثقافية واللغوية بين الشعوب والأجيال، في عصرٍ من "متع" التواصل بين أهل الكوكب حيث نجحت التكنولوجيا الى حدّ كبير في تقريب البشر افتراضيا وثقافياً كما في جعل الغرائز العنيفة تتقدّم في مسيرتها خارج العقول والعبر.

ج ـ الزاوية الثالثة: كيف نفسّر التوغّل في العنف عند التذكير بمستقبل مشاهد تدمير غزّة وجنوبي لبنان الأخيرة والآتي أعظم؟

تندرج الأوهام حيال هذا السؤال في خانة المستحيلات، لأن الظاهرة اللافتة هي السؤال الأعظم:

ألا تتقدم صناعة الأسلحة الفتّاكة وامتلاكها بوتيرة جهنّمية تعوّض عن أحجام العنف الذي أورثه ويورثه حظر استعمال السلاح النووي الذي يشغل العالم من ايران؟ ولكن ماذا مثلا في أجهزة "البيجر" التي قطّعت السبابات ونزعت العيون فصاح الأميركي بأنّ تفجيرها في ضاحية بيروت كان «الحدث الذكي الأعظم في هذا القرن»؟

للجواب على هذا السؤال ليس لي سوى استعادة ما قاله روبرت اونيهايمر المعروف بـ «والد القنبلة النووية» بعد الانتهاء من صنعها:

«الآن أصبحت أنا الموت مدمر العالم».

هذا قول صحيح ومرعب بعدما جرّبت الدول أن تدفّع العرب والمسلمين خلال سنوات ما دفعته في الحرب العالمية من ضحايا وخرائب.

من هو الرئيس الذي سيصرخ غداً: أنا هو الموت؟ ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

تحوّلات دولية وإقليمية وأجندة تركية تقف وراء الحدث

أردوغان ـ أوجلان: أي حلّ للمسألة الكردية؟

لندن: محمد قواص*

شيء ما دفع الأمور إلى التطوّر على نحو غير مسبوق في «المسألة الكردية» في تركيا. بدا أن سيناريو يُرسم في تركيا، متسلّحاً بمتغيرات العالم والمنطقة، ينعش مشروعا لإغلاق ملف الصراع التاريخي بين أنقرة وحزب «العمال الكردستاني» PKK. لكن اللافت أن المسار نجح، على نحو أثار أسئلة، في دفع الزعيم التاريخي للحزب الكردي، عبد الله أوجلان، إلى نشر رسالة، حملها موفدون من سجنه، يطلب فيها من حزبه إلقاء السلاح وحلّ نفسه ووقف التعويل على أي حلول يُشتم منها انفصالا عن تركيا. بدا الحدث عابرا للحدود، يطال كل أكراد المنطقة والعالم. وبدا أيضا لافتاً بالنسبة لعواصم العالم يطرح أسئلة بشأن ما يمكن أن يغيره الأمر من أمور كثيرة في الشرق الأوسط. فكيف بدأ هذا السياق؟

مفاجأ بهشلي

تدافعت مجموعة من المؤشرات الصادرة عن منابر الحكم في تركيا باتجاه خريطة طريق لحلّ "المسألة الكردية"، بما في ذلك فتح ملف أوجلان وحزب «العمال الكردستاني». ورغم أن الإشارات غير واضحة، إلا أن كثيرا من الأعراض بدأت تؤكد هذا الاتجاه لأسباب داخلية، لكنها شديدة الصلة بالتحوّلات الجيوستراتيجية المقبلة في المنطقة. ففي 22 تشرين الأول (أكتوبر) 2024، فاجأ رئيس حزب «الحركة القومية» في تركيا، دولت بهشلي، الرأي العام التركي بدعوته من داخل البرلمان، إلى حضور زعيم حزب "العمال الكردستاني" السجين، عبد الله أوجلان، إلى البرلمان وإعلان حلّ الحزب المصنف منظمة إرهابية وترك سلاحه، مقابل تمتعه بـ «الحق في الأمل».

وبهشلي هو حليف الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، في الحكم والحكومة. ويرأس أكثر الأحزاب تشددا وقومية وعداء ضد حقوق الأكراد في تركيا. وعلى الرغم من عدم تصديق المراقبين لتحوّلاته، إلا أنهم دعوا إلى مراقبتها بصفتها جزءاً من حراك تركي في هذا الاتجاه. قال: "إذا تم رفع عزلة أوجلان فيجب أن يأتي ويتحدث في اجتماع المجموعة البرلمانية لحزب الديمقراطية والمساواة للشعوب، (مؤيد للأكراد)، ويجب أن يعلن بأعلى صوته أن الإرهاب قد انتهى تماماً وأن المنظمة (حزب العمال الكردستاني) قد انتهت".

أضاف بهشلي أنه "إذا أبدى (أوجلان) هذه الحكمة وهذا العزم، فسوف يكون من الممكن وضع ضوابط قانونية بشأن استخدام (حق الأمل) والاستفادة منه". ويقصد بـ "حق الأمل" السماح للمحكوم عليه بالسجن المؤبد المشدد بديلاً عن عقوبة الإعدام، كما في حالة أوجلان، للعودة إلى المجتمع بعد فترة معينة، والحفاظ على الأمل في استعادته الحرية.

رأى مراقبون أن الهدف الحقيقي هو تحويل ذلك «الحق» سريعا، ضمن صفقة معينة، إلى إمكانية منح الأكراد حقوقا معيّنة في إطار ما كان سبق لحكومة حزب «العدالة والتنمية» أن سعت إليه ووعدت به قبل أكثر من عشر سنوات. لكن أن يأتي هذا الوعد من أقصى شخصية قومية معادية للأكراد، فهو تفصيل يستحق التوقف عنده.

وسبق لبهشلي أن بعث بإشارة لافتة عقب مصافحة، وصفت بالتاريخية المفاجئة، لرئيس ونواب حزب الديمقراطية والمساواة للشعوب، المؤيد للأكراد، خلال افتتاح السنة التشريعية الجديدة، في مطلع تشرين الأول (أكتوبر) الماضي، وإعلان إردوغان تأييده لهذه الخطوة من جانب شريكه في "تحالف الشعب".

دوافع تركيا

يتحدث مراقبون عن أن الإشارات التي صدرت باتجاه المصالحة مع الأكراد مرتبطة بالتحوّلات التي تشهدها المنطقة، واستنتاج أنقرة قرارا أميركيا بالقضاء على أذرع إيران في المنطقة، وخططا إسرائيلية باتجاه تعزيز نفوذها جنوب سوريا. ففي 22 تشرين الأول (أكتوبر)، قال أردوغان، إن حكومته تعمل على تعزيز الجبهة الداخلية "مع اقتراب النار التي أشعلتها إسرائيل في غزة ولبنان" من حدود بلاده. وكان سبق أن قال، في 15 أيار(مايو) 2024، إن إسرائيل قد "تضع عينها"على منطقة الأناضول التركية في المستقبل إذا لم يتم إيقافها في قطاع غزة. ويرى مراقبون للشؤون التركية أن أنقرة باتت تميل للمصالحة مع الأكراد لعدة أسباب:

الأول: التخلّص من مشكلة حزب «العمال الكردستاني»، لا سيما تياره الإيراني.

الثاني: إلقاء الحزب سلاحه مقابل تحسين حقوق الأكراد في تركيا، ما سينسحب حكما على وضع سلاح ذراع الـ PKK في سوريا، أي قوات سوريا الديمقراطية (قسد).

الثالث: تعزيز نفوذ تركيا شمال سوريا بالتفاهم مع الأكراد وبالاعتماد على فصائل سورية معارضة قريبة من أنقرة.

الرابع: انخراط المكوّن الكردي في سعيّ أردوغان وحليفه بهشتي إلى إدخال تعديلات دستورية تتيح للرئيس الترشح لولايات رئاسية أخرى.

فيدان وبرزاني

يقول مراقبون إن الرجل الأقوى في تركيا بعد أردوغان حاليا، هو حقان فيدان، وزير الخارجية الحالي ورئيس المخابرات السابق. وكان أوكل إلى فيدان في السابق محاولة حل المشكلة الكردية عام 2012–2015، وهو من ذهب، من أجل هذه المهمة، لمقابلة قيادات في حزب «العمال الكردستاني» في أوسلو. ويُعتقد أنه حاليا داعم لهذا التحوّل باتجاه الأكراد ويستجيب لمصالح تركيا. ويُعتقد أيضا أن صدور الدعوة للإفراج عن أوجلان وإبرام صفقة معه تحمل أيضا رسالة تودّد إلى واشنطن، سواء في حلّ المشكلة الكردية في تركيا وامتدادات ذلك باتجاه حلفاء واشنطن الأكراد في سوريا، إضافة إلى استعداد تركيا للمساهمة في القضاء على أذرع إيران في المنطقة.

وقد دعا محللون إلى إدراج الزيارة المفاجئة لرئيس إقليم كردستان العراق، نيجرفان بارزاني إلى تركيا في 16 تشرين الأول (اكتوبر) 2024 داخل مؤشرات تركيا باتجاه صفقة مع «العمال الكردستاني». وقد اجتمع برزاني مع فيدان، ورئيس المخابرات، إبراهيم كالين، اللذين حضرا

لما يفرج أردوغان عن ملف الأكراد

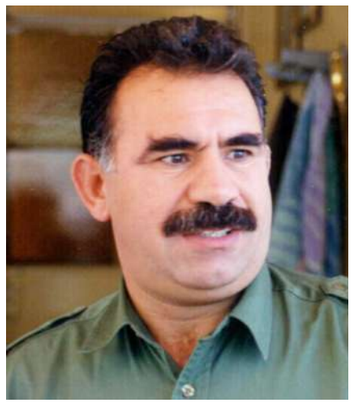

وصايا أوجلان: إلقاء السلاح وإسقاط الأوهام

ما دور مسعود برزاني؟

أيضاً لقاءه مع إردوغان. وربط مراقبون بين زيارة بارزاني والرصيد السابق لعائلة بارزاني، خصوصاً رئيس إقليم كردستان السابق، مسعود بارزاني، الذي لعب دوراً في «عملية الحل» السابقة، عندما زار ديار بكر، كبرى المدن التركية ذات الأغلبية الكردية، في تشرين الثاني (نوفمبر) 2013، وقدّم دعماً قوياً لإردوغان، الذي كان رئيساً للوزراء في ذلك الوقت، لحل المشكلة الكردية بالوسائل الديمقراطية، قبل أن تفشل العملية وتنتهي بإعلان إردوغان، في يونيو 2016، أنه «لا توجد مشكلة كردية في تركيا».

وجدير بالذكر أن زيارة برزاني حدثت قبل أيام من إجراء الانتخابات في إقليم كردستان في العراق، في 20 تشرين الأول (اكتوبر) 2024، (بعد تأخر أكثر من عامين) التي فاز بها حزب برزاني (الحزب الديمقراطي الكردستاني).

قيادة جبال قنديل

إثر زيارات قام بها وفد من نواب حزب «الشعوب» الكردي في تركيا إلى أوجلان في سجنه، شاعت أجواء إيجابية تؤشر إلى إمكانية نجاح التوصل إلى تسوية تاريخية لإنهاء النزاع المسلح. بالمقابل فإن عوامل عدّة منها إقليمي قد تتسبب بتعقيدات داخل ملف له أبعاد تشمل دولا في المنطقة. ففي 23 كانون الثاني (يناير) الماضي، رجّحت وسائل إعلام تركية، أن يوجه أوجلان القابع في سجنه منذ عام 1999، دعوة إلى حزبه ومناصريه لإلقاء السلاح. وإثر إحدى زيارات الوفد الكردي للسجن، كشفت المعلومات أن الوفد ناقش مع أوجلان تفاصيل اللقاءات التي عُقدت مع أحزاب «العدالة والتنمية» و«الحركة القومية» و«الشعب الجمهوري»، بالإضافة إلى المخاوف التي أبدتها بعض الأحزاب السياسية.

وأقر معلقون سياسيون أتراك بإيجابية أوجلان، لكنهم لفتوا إلى أن «مسلحي قنديل»، في إشارة إلى مقاتلي PKK في جبال قنديل شمال العراق، لم يبدوا هذه الإيجابية، وأنه ينقل عنهم تشكيكهم في نوايا القيادة التركية واشتباههم بالضغط عليهم عبر أوجلان وما زالوا يرفضون إلقاء السلاح.

وترتكز خطة أردوغان ـ بهشلي على نقطتين: إلقاء الـ PKK للسلاح وحلّ الحزب نفسه.

توصيات أوجلان

أعلن أوجلان في رسالة وجّهها، في 26 شباط (فبراير) 2025، عن مجموعة من التوصيات التي يدعو حزبه لتبنيها. جاء هذا الإعلان بعد زيارات متعدّدة قام بها وفد من حزب «الديمقراطية ومساواة الشعوب» إلى سجنه. وقد عمل الوفد على نقل الرسائل بين أوجلان والقيادات الكردية، سواء في جبال قنديل شمال العراق، أو أربيل والسليمانية في إقليم كردستان العراق، أو في سوريا.

وقد جاءت توصيات أوجلان على شكل رسالة مكتوبة بعد أن تردد سابقا أنه سيطلق رسائله عبر فيديو مسجّل. ويُعتقد أن موانع قانونية، كان عبّر عنها وزير العدل التركي، حالت دون ذلك. ويمكن تسجيل مجموعة من الملاحظات بشأن مضمون الرسالة من أهمها التالي:

-1 لم يتوجّه أوجلان إلى «الأمة الكردية» في العالم وخصوصا في الدول الأربع المعنيّة، تركيا، إيران، العراق، سوريا، ولم يتوجّه حتى إلى أكراد تركيا، بل توجه إلى حزبه فقط، بشكل «

يحصر التوصيات بحزب يمتلك شرعية تاريخية لتزعمه.

-2 كان سبق لأوجلان في مناسبات سابقة أن طلب من الحزب وقف إطلاق النار، لكنه هذه المرة يطلب إلقاء السلاح بشكل كامل، بما يطلق فتوى بإسقاط خيار الكفاح المسلّح، ويعبّر بذلك عن تحوّل أيديولوجي، ينهي حقبة انتهج فيها الحزب، كما فصائل ثورية في العالم هذا النهج.

-3 لم يكتفِ أوجلان بطلب إلقاء السلاح والتخلي عن العمل المسلّح، بل طلب عقد مؤتمر للحزب لإعلان حلّه نهائيا، على الرغم من دعوته إلى اللجوء إلى العمل السياسي. وأوحى الأمر أن ممارسة السياسة ستحتاج إلى تشكّلات أخرى منفصلة عن الحزب واسمه ومسيرته.

-4 ذهب أوجلان إلى مستويات أخرى، بإسقاطه كل أشكال الحكم الذاتي أو الإدارة المنفصلة أو أي مطالب يُشتم منها استقلالا عن تركيا، معتبرا أنها خيارات ساقطة وجب التخلي عنها.

-5 تعامل أوجلان في توصياته مع المسألة الكردية بصفتها شأنا تركياً، يتمّ من داخل الدولة وليس ضدها، وأن حلّها يكمن في اندماج الأكراد كمواطنين أتراك كباقي المواطنين.

-6 قدم أوجلان مراجعاته الجديدة كزعيم تاريخي، وله المونة والنفوذ، ويمتلك وحده الحقّ في تقرير سياسات الحزب وتوجهاته وحتى مصير بقائه. ويشبه الأمر تجارب عرفتها بعض الأحزاب الشيوعية في أوروبا، حين قرر زعماؤها التاريخيون تغيير نهج الحزب إلى حدّ الابتعاد عن موسكو في عهد الاتحاد السوفياتي.

-7 لم يربط أوجلان قراراته بأي مكاسب توحي بأن المراجعات أتت بناء على «صفقة» أبرمها مع النظام السياسي التركي. ويعني الأمر أنه يوحي بان قراره هي نتاج «مراجعة» بغضّ النظر عما يمكن أن تثمره من تنازلات من قبل حكومة الرئيس رجب طيب أردوغان. حتى أن ما صدر عن أنقرة ما زال لا يوحي بقرب الإفراج عنه أو حتى نقله من السجن نحو الإقامة الجبرية، على الأقل في الأجل الفوري.

مراجعات أوجلان وحسابات تركيا

فيما فشلت محاولة سابقة كان بادر إليها الرئيس التركي حينا وزعيم الـ PKK حينا آخر في إيجاد تسوية للمسألة الكردية أو على الأقل وقف إطلاق النار، فإن التجارب فشلت تارة لأسباب تركية، لا سيما معاندة «الدولة العميقة» ورفض التيارات القومية، وتارة أخرى لأسباب تتعلق بصراع قوى داخل حزب «العمال الكردستاني» أدت إلى عدم التزام الحزب بتعليمات قائده. غير أن ظروفا متعدّدة قد تكون وراء تقاطع أسباب عديدة لإنتاج هذه «المراجعات» وإمكانية تحقيقها تقدما في مسار السلم. وتبرز هنا الأسباب والعوامل التالية:

-1 تتحدث بعض التحليلات عن عزم النظام السياسي التركي على إدخال تعديلات دستورية، من شأنها السماح للرئيس أردوغان بالترشّح من جديد إلى الرئاسة، وربما لدورات غير محدودة، ما يتطلّب مشاركة واسعة للأحزاب، بما فيها تلك ذات التصويت الكردي.

-2 يعتبر خبراء في شؤون تركيا أن نجاح تسوية مع حزب «العمال الكردستاني» تنهي الصراع التاريخي، لا سيما المسلّح، من شأنه رفع شعبية حزب «العدالة والتنمية» الحاكم، بعدما منيَ بتراجع في شعبيته في الانتخابات المحلية الأخيرة التي جرت في 31 آذار (مارس) 2024.

بعد أن تداولت وسائل الإعلام مضمون رسالة أوجلان، خرجت كافة الشخصيات القيادية الكردية التابعة لـ «قسد»، وحزب «الاتحاد الديمقراطي»، و «مجلس سوريا الديمقراطية»، وفي مقدمها، قائد «قسد» كمظلوم عبدي، بمواقف متشابهة توحي بأمر جرى تعميمه مسبقا للدفع بالمواقف التالية:

-1 ترحيب برسالة أوجلان واعتبارها تحوّلا مهما في تاريخ الصراع، مع التأكيد، مع ذلك، أن لا علاقة لكل هذه التشكّلات الكردية السورية برسالة موجهة إلى حزب «العمال الكردستاني» في تركيا، وبالتالي فإن «قسد» وأخواتها غير معنيّة بالتخلي عن السلاح.

-2 التمسّك بالسلاح كحقّ للدفاع عن النفس أمام الهجمات التي تستمر تركيا والفصائل السورية التابعة لها بشنّها ضد المناطق الكردية شمال وشمال شرق سوريا.

-3 إعلان حزب «العمال الكردستاني» التخلي عن السلاح ووقف إطلاق النار، يسقط حجّة تركيا بشنّ عمليات عسكرية ضد «قسد» التي تتهمها تركيا بأنها ذراع الحزب التركي في سوريا. لكن بغضّ النظر عن الحجج والمواقف التي تندفع «قسد» لتقديمها، والنأي بنفسها عن التزامات تنتج عن رسالة أوجلان، فإن التطوّر يفرض احتمالات أهمها التالي:

-1 نجاح مسار تسوية المسألة الكردية في تركيا من شأنه تقوية أوراق تركيا ضد «قسد» في سوريا، بما في ذلك تصعيد الضغط العسكري لإنهاء ظاهرة كانت مستفيدة من الظاهرة الكردية في تركيا.

-2 إسقاط أوجلان لحلول، مثل الحكم الذاتي والفيدرالية أو أي أشكال إنفصالية أخرى لحماية حقوق الأكراد في تركيا، يسقط سردية نظرية للحزب الأم ومنظّره التاريخي اعتمدت عليها تشكّلات «قسد» وأخواتها للمطالبة بتعامل تمييزي كالاعتراف بالإدارة الذاتية ورفض سيادة دمشق عليها.

-3 إسقاط نظرية الكفاح المسلح ونظرية الكيان المنفصل والدفع باتجاه الاندماج في تركيا في رسالة أوجلان، يضعف أوراق عبدي في مفاوضاته مع الإدارة الجديدة، برئاسة أحمد الشرع.

-4 موقف تركيا الجديد والخشن ضد إيران بصفتها الدولة الداعمة لـ «قسد»، وموقف زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني، مسعود برزاني، المشجع لـ "قسد" بالاندماج من خلال الحوار داخل النظام السياسي الجديد في سوريا، وموقف واشنطن الداعم لرسالة أوجلان، المصنف إرهابيا في الولايات المتحدة، هي عوامل تضعف مواقف «قسد» التقليدية السابقة.

تعبّر رسالة أوجلان عن تحوّل تاريخي نظري في فهمه للصراع الكردي في تركيا لصالح منطق الدولة التركية والمواطنة داخل تركيا. ويكشف تقيّد حزب العمال الكردستاني برسالة أوجلان عن وجود مناقشات مسبقة واستنتاج لتحوّلات إقليمية دولية تملي إلقاء السلاح والقبول بحلّ الحزب. ويُقدّر أن أسبابا داخلية تركية تتعلق بتعديلات دستورية تسمح لأردوغان الترشح لدورات رئاسية جديدة أملت تشجيع تحقيق تسوية للقضية الكردية تتيح مشاركة أوسع للمصادقة على هذه التعديلات. يكشف الانذار الذي وجهته تركيا ضد إيران بخصوص دعمها لـ «قسد» عن قوة أوراق تركيا داخل الملف الكردي، إلى درجة الاستعداد لمواجهة طهران، وعدم السماح لها بتغذية بقاء الظاهرة الكردية المسلحة في سوريا. قد يفتح التطوّر مسارات تتعلق بأكراد المنطقة لا سيما في سوريا حيث الملف ملتهب.

* صحافي وكاتب سياسي

هل يتقيد حزب العمال الكردستاني بوصايا قائده

هالة نُهرا في كتاب جديد

رؤوف قبيسي*

تبدو الشاعرة هالة نهرا في كتابها الجديد «أمنح شعوبي أسمائي الـ 7» مثل مترهب يدخل معبد الشعر، ليقلب الأطر والمفاهيم، ويقول لمن في داخله: بيت الشعر الحُر هذا البيت يُدعى، وأنتم جعلتموه منبراً للزيف. القصيدة الأولى وهي عنوان الكتاب، كنموذج يعكس روح الشاعرة وثورتها، تبدأها بالقول «أمنح اسما غريباً للمرايا، وتثاؤب الشمس في وجه الشاعرات النرجسيات». ترمي إلى تقديم مفهوم مختلف للشعر، وإشارة خاصة إلى اللواتي يفتقرن إلى الإبداع، ويعتمدن تقليد الآخرين. تصفهن بأنهن «يقلدن بوقاحة صدى الكعب العالي المطقطق في قصائد أخريات»، كمن يستنسخ أساليب غيره من دون إضافة لمساته أو لمساتها الشخصية. تتحدث عن شاعرات يقطفن القوافي من صوت خرير أناوتهن المقنعة بالجماعة، مشاعر وأفكار مغطاة أو مقنعة بالجماعة، يُعبّرن عن أنفسهن من خلال رؤية جماعية، أو في سياق مشترك مع الآخرين، بدلاً من الكشف المباشر عن ذواتهن الفردية. يكتبن الشعر بأسلوب مستوحى من مشاعر عميقة، لكنها تبقى أسيرة المجتمع والثقافة المحيطة.

تنتقد الشعراء الذين «من فرط ما افتكروا سهواً في الموجود نسوا الوجود»، ركزوا على التفاصيل السطحية ونسوا الجوهر والمعاني العميقة. «لم يمضغوا صوت هايدغر لحظة ولا هروب المعاني من ظلالها»، لم يتعمقوا في الفلسفة، ولم يبحثوا عن المعاني الخفية في كتاباتهم. يتناول نص الشاعرة موضوعات معقدة ومتشابكة، بلغة شعرية غنية بالاستعارات والصور البلاغية، وبعضها عصي على الفهم، ويتطلب تدقيقاً عميقاً للقبض على المعاني. تسمي الأشياء التي تعود إلى أصلها وتقول: «أمنح اسماً غريباً لكل ما يرجع عوده على بدئه»: كضرب من تسمية أشياء تعود إلى أصلها، أو تبدأ من جديد بأسماء غريبة، ربما للدلالة على دورة الحياة أو تكرار الأحداث. تُشبّه نفسها بالخليقة لحظة انبهارها بالمتاهة كرمز للشعور بالدهشة والضياع في متاهات الحياة وتقول" كأنني الخليقة لحظة افتنان المتاهة، بما يُغندر مشي الهواء على ظهر النغم العاري، كرمز إلى الانسجام أو الموسيقى الخالصة، وربما إلى التعبير الصادق النقي ويشرد الكلف على خد القمر سميسماً في قصيدة جائعة. نلحظ هنا صورة بلاغية لوصف انتشار النمش (الكلف) على وجه القمر، كبذور السمسم في قصيدة تفتقر إلى الإشباع، ما قد يرمز إلى نقص أو حاجة في التعبير الشعري. ومواويل مشفرة تدهن حناجر الرعاع بمقام «جهاركاه» إشارة إلى أغانٍ أو أهازيج معقدة تُغنى بطبقة صوتية معينة، وتؤثر في عامة الناس، ربما للدلالة على تأثير الفن أو الموسيقى في المجتمع. ثم تتماشى مع إيقاع معين متناغم بين الحركة والإيقاع بقولها: «وتنصب للثغ أراجيح على إيقاع الأقصاق».

لا بد من أن يكون المرء ملماً بشي من الموسيقى ليفهم مقاصد الشاعرة، فهي تستخدم تعابير موسيقية تقنية مثل «جهاركاه» (مقام نادر في الموسيقى العربية يشبهونه بجنس العجم) وتعابير مثل إيقاع الأقصاق، التركي البطيء. ثم تقول «أمنح أصدقائي النبلاء وحدهم مجد النشيد الأخير» الناجي من هول أبولون (إله الفنون والموسيقى عند الإغريق)، وزلازل الضمائر السكرى من زيبب الأمجاد الزائفة وانقراض الأسبار في الحفلات التنكرية، أي الاحتفالات التنكرية التي تخفي الحقيقة. إنه رفض كامل للانخداع بالمظاهر الكاذبة والزيف الثقافي.

«أمنح وجه الوطن المراب كاللبن يظل صوتًا جديدًا من خزانة روحي الكونية» تتحدث عن وطن يبدو صامداً لكنه ساكن. تمنحه صوتًا جديدًا مستخرجًا من أعماق روحه الواسعة، وتسعى إلى التعبير عنه وتجديد هويته بطريقة جديدة ومختلفة، وبرطمان حدس الملح الخشن الليركي لتدليك أضلع وأرجل الصرخة في طشت العلامة».

يفهم من هذه الصورة الشعرية أن الشاعرة تستخدم حدسها القوي (الملح الخشن) وصوته الشعري (الليركي) ليبعث الحياة في الوطن أو ليعالج أوجاعه، لكنها لا تريد مجرد صرخة عشوائية، بل شيئًا ذا معنى واضح ومؤثر، قد يكون علامة أو إشارة قوية تترك أثرها، وتنهي النص بالقول: أمنح شعوبي أسمائي السبعة تتكفل بأفق الوعد الباقي يرشني بذورا للآتي"، تمنح نفسها وأمتها أسماء كأنها بذور تُنثر في الأفق لتنبت في الأيام الآتية، حاملة الأمل والتجدد، وداعية إلى حقيقة أشد نقاءً وإبداعًا، متطلعة إلى مستقبل واعد كله أمل.

في الكتاب وهو من منشورات (دار فواصل) قصائد أخرى لا تقل قيمة ومكتوبة بعربية فصحى تمثل خلجات الشاعرة وصعودها وهبوطها وبعضها (ست قصائد) مكتوبة بكلمات عامية لبنانية بعضها قد يكون عصيا على الفهم لدى بعض القراء العرب مثل قصيدة «تخمين القمر نسي يفل»: أي «هل يا تُرى القمر نسي أن يرحل». قد يجد القَارئ العادي في شعر هالة نُهرا، الفصيح منه والعامي" كماً كبيراً من الغموض، صيغ بلغة غير مألوفة زاخرة بالكنايات والاستعارات والصور، وفي اعتقادي أن الشاعرة، وهي تطبع خيالها على الورق، أدركت هذه الفروقات بين قصائدها وقصائد غيرها من الشعراء والشاعرات، لكنها نأت بنفسها عن التقليد، ولم ترد أن تكون نسخة عن صنائع آخرين، وآثرت أن تحتفظ بأسلوبها وبعباراتها، مدركة في الوقت نفسه، أنها المرايا الوحيدة التي تعكس ما يكتنف وجدانها من أفكار ولمحات خاصة وخاصة جدا. كان بوسعها أن تلجأ إلى السهولة وإلى التنميق، وصب المعاني بأشكال معهودة ترضي عددا أكبر من القراء، لم تفعل وهذا يُحسب لها في باب الصدق مع النفس، وتغليب الفكرة أو المعنى الفلسفي على الشكل، حتى لو كان ذلك على حساب جمالية العبارة!

تعتبر هالة نهرا الشعر مفتاح المعرفة وتقول «إنه الزفرة العميقة التي يطلقها الكون، والمفاتيح التي بواسطتها ينجلي بتقطر الغامض والمجهول والمحجوب واللامنظور والمخفي». ومهما يكن الرأي في صنيعها، يبقى الحكم عليه ليس سهلا، ولا يجب أن يمر القارئ عليه مرورا عابراً. إنه أشبه بالبحث عن قطة سوداء في غرفة مظلمة كما تقول الفلسفة اليونانية القديمة، او كما البحث عن وردة بين الأشواك، قد يجدها قارئ ولا يجدها آخر، ومن القراء من يقبل التحدي، ويسير مع الشعر الذي يغلب عليه الجهد والتعب، كما هي قصائد هذه الشاعرة الشابة، يحدوه أمل الحصول على وردة يقطفها. قد لا يحصل على مراده بسهولة، وقد يدمي الشوك أصابعه، لكنه، وهو في مهمة الغوص في الينابيع، يشعر أن في البحث عن الوردة متعة لا تقل عن متعة الإمساك بها والتنعم برحيقها، وهذا القارئ، هو من يستحق الثناء عليه أكثر من غيره، والخليق أكثر من غيره بأن يُنظم له الشعر، وتُكتب له القصائد.

*كاتب وناقد لبناني

دفعت المرأة الفلسطينية في غزة فاتورة الحرب مضاعفة

الحرب والنساء في غزة..!

فلسطين: أكرم عطاالله

الكتابة عن غزة بعد عام ونصف من الرماد هي نزيف مستمر لوجع لا ينتهي، جاء رمضان فقيراً وحافياً كما يمر على هذه المنطقة الأكثر يُتماً في العالم حين وجدت نفسها فجأة تحت سيف الذبح بلا آباء ، فقيراً من الأبناء والروح وكل ممكنات الطقوس التي صاحبت الذاكرة الحزينة لما مضى قبل انفلات الجنون الإسرائيلي الذي حرق المكان وحافياً يلسع شوك الأيام أقدامه العارية والدامية من كثر الحصى الذي نثرته آلة العدوان الهمجية وجاء بعده العيد ليفتح كل سدود الدمع في المقل على ما فقدت غزة من الأبناء .

كان رمضان حزيناً حيث عادت دولة الإحتلال في مطلعه لإستخدام الجوع كسلاح لتركيع المنطقة مرة أخرى في محاولة لإذلالها والضغط على حركة حماس لإطلاق سراح الأسرى الإسرائيليين بعد أن فشل الدمار والعنف والوحشية في فعل ذلك وبتجربة اسرائيل فقد خضعت للشروط وسلمت بصفقة بعد إدراكها بأنه لا يمكن استعادتهم بالإرهاب المسلح ثم عادت كعادتها في التهرب والتنصل من الإتفاق أو من المرحلة الثانية له بعد أن رفضت مبكراً الدخول بمفاوضاتها التي كان يجب أن تبدأ في اليوم السادس عشر من بدء المرحلة الأولى والذي كان في الثالث من فبراير الماضي ومنها كان يفهم مبكراً أن لا مرحلة ثانية وأن الطبع الإسرائيلي قد غلب على التطبع .

أن يتصادف إغلاق المعابر والتجويع الممنهج مع بداية شهر رمضان الفضيل فتلك تضاف إلى حملة التعذيب الممنهج سياسياً الذي تمارسه اسرائيل بحق المدنيين في قطاع غزة هؤلاء الذين لم يجدوا بيوتاً يقيمون بها موائدهم ولا كهرباء يتسحرون على ضوئها ولا غاز يطهون به طعامهم ولا طعام يتدبرون به صيامهم ولا أحبة يتحلقون حول المائدة بعد أن فقدت كثير من العائلات أحبة كانوا يوماً مصدر دفئها وسحر رمضان وطقوس الفرح فقد حولت اسرائيل كل شيء إلى عزاء كبير .

المأساة المستمرة التي صنعها الوحش الإسرائيلي مناصفة مع صمت العالم كانت تمر مناسبات احتفالية تذكر العالم بنصف المجتمع أو سيدة المجتمع المرأة التي تحتفي بها البشرية كانت غزة فقيرة من البيانات السنوية التي تتوقف احتراماً لمرأة فلسطينية كانت استثناء في التاريخ العالمي حيث الظروف الإستثنائية التي سار عليها المسار الفلسطيني المتفرد في تجربته حيث ألقى التاريخ على كتف المراة الفلسطينية بأحمال ثقيلة كانت تقوم خلالها بدور لا يشبه دور النساء ولم تتردد هذه المرأة أن تكون بمستوى ما فرضته وقائع التاريخ بل قامت بأدوار مدهشة كانت جديرة بالإحتفاء بها وتعليقها على صدر تاريخ هذا الشعب .

في الثامن من مارس كان عيد المرأة ورغم الجرح الذي ينزف من خاصرة غزة لم تنس مؤسسات المرأة أن تذكر بالسيدة التي عاشت كوابيس الحرب وعيد الأم الذي يصادف الحادي والعشرين من مارس فللأم الفلسطينية رواية أخرى يخلدها التاريخ وهي تهرب بأطفالها منذ النكبة وصولاً للأم التي انتظرت ابنها وعاد مستشهداً للأم التي أدميت أقدامها وهي تتنقل بين السجون في زيارات الأبناء الأسرى من أبطال الشعب صابرة على كل هذا العذاب وهي توزع نفسها بين الشقاء وبين الكبرياء الذي صاحب تجربتها القاسية.

هذه الحرب خلال العام ونصف الماضية لا تشبه سابقاتها في الرحلة الطويلة للمرأة التي تعرضت للإبادة فخلال تلك الرحلة خلال العقود الماضية منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية الحديثة منتصف ستينات القرن الماضي كانت تُعَرّف المرأة الفلسطينية بإعتبارها عنصر مساند للعمل الوطني وليس عنصراً رئيسياً مثل أم الشهيد وأم الاسير بالإضافة لأدوار ليست رئيسية في القتال والعمل المسلح لكن في هذه الحرب كان الأمر مختلفاً فما تعرضت له المرأة من سحق وموت وملاحقة لم يكن يقل عما تعرض له الرجل بل تشير البيانات إلى أن عدد مَن قتلتهن اسرائيل في هذه الحرب أكثر من عدد الرجال على الأقل في البيانات المعلنة لأنه لا زال هناك ما يفوق عن العشرة آلاف شهيد وشهيدة تحت الأنقاض يصعب الوصول إليهم وإليهن لأن اسرائيل دمرت معدات الإنقاذ ورفع الركام وممكنات الدفاع المدني الفلسطيني وتمنع إدخال معدات جديدة حتى بعد اتفاق وقف اطلاق النار وصفقة الهدنة التي نصت بشكل واضح على إدخال تلك المعدات .

قبل ثلاثة أسابيع نشر مكتب الإعلام الحكومي بغزة مذكراً المجتمع الدولي الذي كان يحتفي باليوم العالمي للمرأة مجموعة بيانات مؤلمة عما ارتكبته اسرائيل من مجازر كانت خسارة المرأة فيها شديدة الفداحة فقد كان عدد النساء اللواتي قتلتهن اسرائيل 12316 إمرأة وقد تسببت الحرب بترك 13901 إمرأة أرملة فقدت زوجها ومعيل اسراتها كما تركت الحرب ندوباً قاسية على 17000 إمرأة ثكلت بفقدان أبنائها أو إبن واحد على الأقل أما عن الإصابات فقد تركت الحرب 2000 إمرأة ستلازمهن الإعاقة جراء بتر أطرافهن أما الإصابات العادية اليومية فهي بعشرات الآلاف ناهيك عن إصابة 162000 إمرأة بأمراض معدية .

أما حالات الولادة فقد وضعت 50 ألف إمراة مواليدهن في ظروف غير إنسانية حيث انهيار المنظومة الصحية اضطر الأطباء القيام بعمليات توليد بعضها قيصري بلا مواد تخذير وترافقت تلك الولادات مع ضعف في الوضع الصحي للمرأة نتاج عملية التجويع التي مارسها الإسرائيلي ونقص الإحتياجات الغذائية للمرأة الحامل بالإضافة للنساء اللواتي تعرضن للإعتقال والإهانة والإذلال بعضهن تمكنت وسائل الإعلام من تصويرهن وتحدثن عن التجربة التي لم تخلُ من التعرض للشرف وتجريدهن من الملابس أمام الجنود في مشهد لا يمكن أن ينسى عدا عن نساء أشرن لنوع معين من التحرش ورفضن نشر تلك المقابلات كما قال أحد الصحافيين من غزة الذي أجرى لقاءات مع بعض من تعرضت للحدث خوفاً على سمعتهن وفقاً للتقاليد العربية وكثير منهن آثرن الصمت .

لم تكن المرأة في الحرب حدثاً على هامش الأحداث كما يحدث في كل الحروب حيث تتم بين قوات مسلحة مع تجنب المدنيين كالنساء والأطفال لكن في هذه الحرب كانت المرأة هدفاً للموت والقتل وعدا عن ذلك كسلوك وحشي تجاوز كل أخلاقيات الحرب ومعايير الصراعات بين المتحاربين.

لكن المرأة في هذه الحرب كانت تحمل على أكتافها أكبر مما تحتمل قدرتها وطاقتها وأنوثتها التي نسيتها إذ وجدت نفسها نازحة في خيمة بعيداً عن منزلها الذي تهدم ووجدت نفسها بلا امكانيات وجدت نفسها فجأة تتحمل المسؤولية كاملة في هذه الحرب بمسؤوليتها المعتادة كأم ولكنها أيضاً حملت مسؤولية الأب والعائلة الكبيرة مسؤولية يومية تتمثل في البحث عن مكان آمن تنصب فيه خيمتها لإيواء نفسها وأبنائها ومسؤولية جمع الحطب حيث لا غاز للطهي مع عودة غزة للعصور القديمة ومسؤولية البحث عن طعام وسط جريمة التجويع التي يمارسها جيش الإحتلال من المؤسسات التي تمكنت من إدخال بعض المواد الغذائية وتوزيعها تجد المرأة في أحيان كثيرة نفسها تصطف في الطوابير لتأمين بعض المعلبات للأبناء ثم تكتمل رحلة الشقاء بإيقاد النار بعد جمع الحطب وصناعة وجبة مقبولة من تلك المعلبات يتمكن الإبناء من التغلب على الجوع الذي تسبب بوجع دائم قبل أن تعود اسرائيل تغلق المعابر مرة أخرى بعد انتهاء المرحلة الأولى لتتكرر رحلة الوجع من جديد .

دفعت المرأة الفلسطينية في غزة فاتورة الحرب مضاعفة كان أسوأها الإحتياجات الخاصة للمرأة والألم النفسي الناتج عن خصوصيتها البيولوجية مثل ضرورات دورة المياه التي انعدمت خصوصيتها لمن يسكنون في الخيام لكن المرارة كانت في التفاصيل الصغيرة كإنعدام الفوط الصحية عندما تباغتها الدورة الشهرية وتغرق في نفسها ومع انعدام البدائل كان وضع المرأة كارثياً ومع استحالة الإستحمام اليومي والروائح كانت تتحطم النساء بعضهن تمنين الموت على لحظات كانت أنوثتهن تشكل عبئاً عليهن وكان الخوف والبكاء والشعور بفداحة الخسارة وحجم المسؤولية والفشل في القيام بها لإنعدام ممكنات الحياة كان الوضع كارثياً تسبب بالكثير من الأذى النفسي كان من نتائجه زيادة المشاكل الأسرية وشعور بفتور علاقاتها الإنسانية مع الزوج والأهل .

عادت المرأة للشقاء حيث قيامها بدورها المنزلي بشكل يدوي لإنعدام الكهرباء وغياب الأجهزة الحديثة مثل غسالة الملابس لتضطر بالقيام بذلك يدوياً في ظل انعدام المياه التي اضطرت كثير من النساء اللواتي فقدن أزواجهن للسير لمسافات طويلة لنقل هذه المياه ويقاس عليها الكثير من المهمات التي تحولت إلى عمل شاق خلال فترة الحرب كل هذا كان يصاحبه الأرق اللحظي الذي لم يفارق المرأة في غزة نتاج الخوف على الأبناء والزوج وما خلفه ذلك من آلام نفسية كانت أكبر لدى من فقدن واحداً من أفراد الأسرة .

مملكة المرأة بيتها كما يقال وحين انتقلت المرأة للخيام فقدت خصوصيتها حيث الحياة في خيمة بلا أبواب ولا حواجز تعزل عن الخيام الملاصقة ونتاج العادات والتقاليد العربية تحولت المراة إلى عبء نفسي على الاهل كانت تشعر بتلك المأساة بسبب ذلك مصحوباً بالحاجة والفقر اضطر الكثير من الأهالي بدفع بناتهم للزواج بلا مهر ولا طقوس للزواج على سبيل التخلص منهن وتلك كانت إهانة كبيرة وقد أطاحت الحرب بأحلام النساء الكثيرة التي كانت ببيت وسعادة وزواج وطقوس للفرح .

ومع كل الوحشية ومحاولات اسرائيل بتدمير المجتمع وأعمدته الرئيسية إلا أن المجتمع في غزة قدم قدرة مدهشة على البقاء وهو يخرج من بين الحطام ، خرجت المرأة مع كل المعاناة التي تركت ندوباً على روحها نتاج الحرب لكنها لم تستلم لليأس عادت لبيتها المهدم تجمع الحجارة ترمم ما تبقى تنظف الركام والغبار تعيد إنشاء مملكتها وبيتها ومطبخها وأشياءها في محاولة لتحدي اليأس الذي أراده الإحتلال من كل جريمته ودفع الناس للرحيل.

لكن عماد البيت وهو المراة يلعب دوراً مركزياً في التصدي والعمل بشكل أكثر تصميماً مسلحة بإرادة البقاء فالمراة هي عماد البيت كما يقولون في السلم ولكنها في الحرب أثبتت ذلك بشكل مدهش وبعد الحرب أيضاً فالبقاء هو كلمة سر الفلسطيني على هذه الأرض كانت المراة الفلسطينية تكتب صفحاته المجيدة بدمها وبمعاناتها وبأحلامها وذكرياتها وبكل ما امتلكت من إصرار كان أشبه بمعجزة استدعتها من مخزون إرادة لم تنضب بل أن التجربة تقول أن لديها ما يكفي لصناعة مستقبل سيظل مزاحما للإسرائيلي على هذه الأرض ولن يطأ اليأس عتبة جباه المرأة التي ظلت شامخة في أسوأ الظروف . ■

دهاء التاريخ وصراع الارادات في منطقة الشرق الأوسط

انعقاد القمة بعث للمؤتمرات المسؤوله.. والطريق مازال طويلا

لندن: أمين الغفاري*

عادت قضية فلسطين لكي تصبح من جديد (القضية المركزية للعرب) من حيث الموضوع وليس بمنطق التكرار،والشعارات المعهوده والخطب الرنانه التي تعودناها.عادت لتفرض نفسها فرضا،بعد ان هددها طوفان ترامب بالتهجير،وبمعنى آخر بالتصفية،وأثر مجازر نتنياهو التي لا يحكمها عقل أوضمير.عادت القضية المحوريه في حياة العرب، لتضغط على كل ذاكرة حيه ،وكل فكرمسؤول،وكل مفهوم سياسي يستجيب لقيم الأنسان وعقائده ومدى تحضره وايمانه بقضايا الانسان في كل مكان أو زمان،وهي الحرية والأستقلال والأمن والأمان.عادت قضية فلسطين، لتنفض عن كاهلها سنوات مرت،وقضت من اعمار اجيال متعددة ،شهدت جمودها وخذلانها منذ ان وقع الرئيس السادات اتفاقية (كامب ديفيد) عام 1979 ،وانهمرت اسرائيل في بناء المستوطنات وكما يقول الراحل الفلسطيني الكبير (محمد ملحم) عمدة حلحول في ندوة عقدت في لندن في مطلع الثمانينات (من يريد ان يعرف ماذا فعلت كامب ديفيد في الأرض الفلسطينيه فليحضر ويشاهد بنفسه على الطبيعه ،وكيف انفجرت حركة الأستيطان لتنهش الأرض الفلسطينيه كسرطان تشعب وانتشر).

ولم يكن غريبا بعد ذلك ان تتوالى الانكسارات،فخروج مصر من ساحة الصراع العربي الأسرائيلي، كان ينذر ان زمن الصراع وحركته بل وميدانه، قد اصبح ينحو منحى آخر،وان السياسة العربيه قد دخلت مرحلة جديده ،تخرج بها من التزامات وواجبات الامن العربي المشترك الى ظاهرة الامن القطري ومراعاته ان لم يكن بأفضليته، ومن ثم حدث ذلك التراجع ، وتحولت القضية من صراع عربي - اسرائيلي الى صراع فلسطيني اسرائيلي وجاءت حقبة الرئيس ترامب الأولى لتجد منهجا جديدا في معالجة القضية الأخطر في العالم العربي عرفت مسارها بشعار جديد للسلام يحمل اسم (الأتفاق الأبراهيمي) تم من خلاله اضافة دول جديده الى حلبة السلام الاسرائيلي لا يتضمن خطوة واحده حول القضة الأم ،وهي القضية الفلسطينيه، ويكتفي بالقول (أن تقوم اسرائيل بتجميد (خطة الضم) التي كان يتبناها بنيامين نتنياهو ،بل كان تصريح السيد وزير الخارجيه والتعاون الدولي الشيخ عبدالله بن زايد الذي يقول فيه (نحن نتحدث عن مشكلة تتعلق بالتاريخ والثقافة والدين، لذا يمكن أن يكون جزءاً من الحل (التوصّلُ إلى اتفاق) يجمع بين التاريخ والثقافة والدين). وهو امر نلمس نتائجه الآن من سطوة اسرائيليه تتفاقم ولا ترعوي.

لا للتشاؤم

مع كل ذلك لا ينبغي لأحد أن يتشائم، بشأن القضية الفلسطينيه،أواندحارها وضياعها ،والدليل على ذلك ما نراه ونعايشه ونتابعه.على مستوى المقاومه الفلسطينيه نرى الأصراروالصمود والأيمان المطلق، والتدريب والقتال المذهل حتى وان كان ميزان التسلح لا يقارن مع العدو،لكن الصمود ديدنهم، والثبات على الأرض قاعده لهم ويمكن القول ان الممارسات الوحشية لأسرائيل لن تزيد الفلسطينيين الا تشبثاً بأرضهم وشراسة في الدفاع عنها،بل أن الأطفال الفلسطينيين الذين يعايشون تلك المعارك ،وهذا الدمار التي تشنه اسرائيل على انحاء غزة وبعض منه في الضفة الغربيه هم الجنود الأشاوس في المستقبل القريب والأبعد على حد سواء، ان العنف لايولد سوى العنف، وقيمة الأرض والمهد والعلاقات الاجتماعيه تتعمق وتتجذر من خلال الصعاب، كما أن سنوات الحرب والحصار ،تكفل لهم ايمانا أكثر، وتشبثاً اعمق ،وعنادا لا يقاوم ولا يمكن ان يقتلع من العرب عموما والفلسطينيين خصوصا ، لقد كشف اليمين الاسرائيلي في حقبتنا هذه عن وجهه وتعرى تماما ،وبات تصميمه على التوسع والتهام المزيد من الاراضي واضحا وجليا، ولكن هل ينجح، بحساب الواقع المرئي والصحوة العربيه التي اثارها ترامب، نقول لا لن ينجح .

يتحدث المؤرخون لحركة التاريخ عن ظاهرة يطلق عليها (دهاء التاريخ) واثرها في حركة الشعوب ، ويضربون مثالا لهذا الدهاء ،بالحملة الفرنسيه على مصر عام 1798، وكانت أول غزو لمنطقة الشرق الاوسط بعد الحروب الصليبيه، ولا شك انها ككل حركة استعماريه تمثل كارثة ونكبه للوطن الذي يتم غزوه ،ولكنها في الوقت نفسه تشحذ همم المواطنين ،وتحفزهم على تنظيم حركة المقاومه، و تعمق من شأن الترابط والتعاون بينهم، وقد برزت قيادات شعبية جديده على ساحة المقاومة في مصر، ،ثم على جانب آخر تلفت النظر لمدى أهمية هذه الدوله وحجم التأثير الذي تمثله بموقعها على مصالح الأطراف المجاوره،ومركزها بالنسبة للمصالح الدوليه و ترتيبا على ذلك سارعت بريطانيا في المعاونه لجلاء الفرنسيين، وقامت بضرب الأسطول الفرنسي (موقعة ابوقير البحيره) 1798بالقرب من شواطئ الأسكندريه، ثم حاولت بعد ذلك أن تقوم بغزو مصر ،بعد جلاء الفرنسيين منها 1801 ،وقد عرفت المحاولة البريطانيه باسم)حملة فريزر)1807 وتصدى لها الشعب المصري في موقعة (رشيد) كذلك كان من أثر الحمله الفرنسيه،وهو الأهم ، قيام الشعب المصري بالرفض الصريح لقرار السلطان العثماني بتعيين حاكم جديد للولاية على مصر، وتمسكهم باختيارهم الحر لحاكمهم، واختاروا (محمد علي) ،وقام نقيب الأشراف المصري (عمر مكرم) بمخاطبته قائلا (لقد ولينا علينا بشروطنا) وكانت تلك سابقه في تاريخ الحكم ،جاءت بعد نضال الشعب المصري ضد الاحتلال الفرنسي الذي لم يعمر سوى ثلاث سنوات .كان (دهاء التاريخ) ان تساهم النكبه في تصحيح الأوضاع المختله،وتساهم من خلال التعاون والتنظيم ووحدة الصف في احداث التطور الذي لم يكن منظورا). انه (مكر التاريخ) ان تنبت الأزهار من بين المجازر، وان يولد الفجر من دياجير الظلام.

صدمة السابع من اكتوبر

أن السابع من اكتوبر كان بمثابة ميلاد جديد للقضية الفلسطينيه، نبه العالم، وأثار الرأي العام وحمل موضوع القضية وعدالتها الى عقول الكثير من الشباب في انحاء شتى من القارات،خاصة في الجامعات،ومازلنا حتى بعد انقضاء كل تلك الشهور نشهد المظاهرات والأعتصامات تتوالى ولا تتوقف خصوصا مع وحشية الهجوم الاسرائيلي، وعمليات الحصار والتجويع، وهجوم اسرائيل المتجدد على الضفة الغربيه،وقد زادها التأييد الغربي عامة، وتدفق السلاح شراسة وتوغلا بحيث تجاوزت حدود فلسطين من غزة والضفة ،و توغلت في لبنان ،ثم في سوريا بعد تغيير النظام واستلام احمد الشرع للحكم ،فقد اقتحمت مناطق جديده من الأراضي السوريه في ادعاء لضمان حدود أمنه لها .هذا الأندفاع وتلك الشراسة الأسرائيليه تكشف عن رد فعل لأنكشافها تماما وانتقالها من مرحلة (الجيش الذي لا يقهر) ،الى الجيش الذي لا يمكنه ان يستمر في القتال الا من خلال مدد لا ينقطع من القوى الغربيه عموما والولايات المتحده خصوصا ،فهو الآن وعلى الدوام (الجيش في غرفة الأنعاش) ،وقد وضح ذلك تماما ،عبر معارك عدة اشتبكت فيها اسرائيل مع قوى عربيه ،ابتداء من حرب 1973،الى معارك اخرى مع المقاومة اللبنانيه اشهرها 2006 ،الى السابع من اكتوبر 2023 مع التحامها مع المقاومه الفلسطينيه.وهو امر أصبح يثير جزع الاسرائيليين،والى الحد الذي فاقم من حركة المتطرفين اليهود ،وجنح باسرائيل الى تسيد الفكر اليميني وظهرت نماذج مثل بن غفير، وسموتريتش، وشكلوا احزابا مثل (القوة اليهوديه) و(الحزب الصهيوني الديني) في محاولة لأستنهاض حركة المجتمع في مواجهات تكاليف المستقبل ازاء الخطر الذي اصبح يحاصر اسرائيل .كانت الضربة الفلسطينيه شديده وموجعه ،وكاشفه لحقيقة هذا العدو ،الذي يستمد عافيته فقط عبر المنشطات وغرف الانعاش.

يعد ترامب نمطا جديدا في تاريخ الولايات المتحده الأمريكيه، وعلامة فارقه في السياسة الدوليه ،بل وفي المفاهيم العامه المتداوله عن النظام الدولي ومؤسساته العالميه هيئة الأمم المتحده ،ومجلس الأمن، والمنظمات الدوليه، الخاصة بحقوق الأنسان، فهو يحكم بمنطق لم يتعارف عليه العالم،بعد ان قطع شوطا طويلا في التنظيم عبر مرجعيات جديده ،اصبحت تحكم (النظام العام الدولي) حتى وان شابتها الكثير من السلبيات وأبرزها (حق الفيتو)في مجلس الأمن، الذي يمكن الدول الخمس من عرقلة اي قرار يمكن ان يعرقل مصالحها الذاتيه، دون اي اعتبار لمصالح الدول الصغري، وتجاوز القوى العظمى احيانا في عدوانها على الدول الأضعف مثل غزو العراق دون سند من الأمم المتحده أو مجلس الأمن ، والعدوان الثلاثي على مصر عام 1956، والى حد ان قام السكرتير العام للأمم المتحده (داج همرشولد) بتقديم استقالته من منصبه احتجاجا على ذاك الغزو، مما استدعي ان تناشده مصر للعدول عن تلك الاستقالة لثقتها فيما يقوم به من اعمال. أتي (ترامب) ليغير من تعامله حتى مع حلفائه من الأوروبيين، مما حدا ببعض الأصوات من العرب لكي تقول ،اذا كانت تلك هي معاملاته مع حلفائه الأوروبيين ، فما هو الحال في تعامله مع حلفائه من العرب.

اليس ذلك يعد درساً..؟. خرج (ترامب) بمشروع (التهجير للفلسطينيين من غزة الى مصر والأردن) حتى يمكن اعمار (غزة) وتحويلها الى منتجع عظيم من خلال موقعها المناسب ،وكانت المواجهة الحتميه لذلك المشروع بالرفض العربي المطلق ،أولا لأن ذلك يعني تصفية القضية الفلسطينيه ،ثانيا لأن ذلك من شأنه ان يهدد الأمن القومي العربي ،وفي المقدمة مصر والأردن ،وكانت السرعه في التحضير لمؤتمر القمه العربي ،بعد ان قامت مصر باعداد خطة بديله، لأعمار غزة ،في وجود الشعب الفلسطيني في غزة .تزامن ذلك مع ايقاف اطلاق النار بمقتضى الأتفاقية التي صيغت من قبل في عهد (بايدن) ولكنها تعثرت بمواقف اسرائيل المتعنته والمتجددة على الدوام ،وقام ترامب حتى قبل اعتلائه للسلطه بدفعها الى الامام ،بالضغط على اسرائيل .وافقت القمة العربيه على (الخطه المصريه) وبذلك أصبحت (خطه عربيه) لأعمار (غزة).

الموقف العربي . . واحتدام حركة الصراع

يتميز الموقف العربي الآن بأنه موقف حازم في مواجهة التطلعات الأمريكيه في تصفية القضية الفلسطينيه ،ومواجهة حركة الأعترافات العربيه ،وخصوصا من المملكة العربيه السعودية باسرائيل بشكل مجاني ، دون النص على قيام الدولتين الفلسطينيه والاسرائيليه كما يطمح ترامب واسرائيل

وقد رفضت الولايات المتحده الأمريكيه الخطه المصريه ،باعتبار صعوبة الأعمار في وجود الغزاويين كما رفضتها اسرائيل ولكن مجال التفاوض مفتوح ،كما ان الأصرار العربي حازم ومؤكد. والدليل على ذلك الدعوة الى مؤتمر دولي لدعم حركة الاعمار في شهر ابريل . على جانب آخر تجرى الأتصالات على قدم وساق من أجل وقف دائم لأطلاق النار في غزة ،ثم في ايقاف العدوان على الضفة ،واطلاق الأسرى والمحتجزين ،وانسحاب اسرائيل من المواقع التى احتلتها .ثم تأتي اشكالية (اليوم التالي) لأيقاف العدوان والأنسحاب الأسرائيلي وتكمن في عقدة من يحكم (غزة) ،وقد استقر الأمر حتى كتابة هذا المقال ،على ان يتولى حكم (غزة) لجنه حكم من بيروقراط اي لجنه غير فصائليه لمدة يتفق عليها ،حتى تجرى انتخابات رئاسيه وتشريعيه في فلسطين ،ويستقر الحكم من خلال هذه الأنتخابات .

عادت القضية الفلسطينيه الى الحضن العربي الشامل، وتحول الصراع الى تعريفه الطبيعي (الصراع العربي - الاسرائيلي) ،وعاد التعريف العربي الآخر، وهو (الأمن القومي العربي) وليس بحدوده التي برزت في العقود الماضيه (السلام القطري) ،وقد وضحت خطورته في مدى التهديد الكلي الذي يمكن ان يصيب الأمة بكاملها ان لم يتم تداركه ،وقد جاء في قرارات (القمة العربيه) نصٌ يقول :

- تأكيد الموقف العربي الواضح، والذي تم التشديد عليه مراراً، بما في ذلك بإعلان البحرين الصادر في 16 مايو 2024 ، بالرفض القاطع لأي شكل من أشكال تهجير الشعب الفلسطيني من أرضه أو داخلها، وتحت أي مسمى أو ظرف أو مبرر أو دعاوى، باعتبار ذلك انتهاكاً جسيماً للقانون الدولي وجريمة ضد الإنسانية وتطهيرا عرقيا، وكذلك إدانة سياسات التجويع والأرض المحروقة الهادفة إلى إجبار الشعب الفلسطيني على الرحيل من أرضه، مع التشديد على ضرورة التزام إسرائيل القوة القائمة بالاحتلال بقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة، والتي ترفض أي محاولات لتغيير التركيبة السكانية في الأرض الفلسطينية.. كما وضح من جانب آخر ان اتفاقيات السلام واحكامها ،لا يمكنها درء الخطر وحدها ،وانما الذي يحمي السلام هو القوة والاستعداد الأمثل والأشمل للطموحات الأستعماريه والتوسعيه. انه دهاء التاريخ ودرس التجربه ان الحامي لقضية فلسطين اضافة لكفاح شعبها وقتاله عبر عقود من الزمن وصلابته وصموده ،هي المرجعية العربيه والأمن القومي العربي بشموله واتساعه ،وأن القضية الفلسطينيه ليست قضية قطريه،فحسب ،وانما هي ايضا قضية عربيه ومايهددها يعد اختراقا للأمن القومي العربي .

*كاتب وصحافي مصري

الامير محمد بن سلمان الاعتراف باسرائيل شرطه الأول دولة فلسطين

ترامب احدث منهجا جديدا في التعامل مع دول العالم

الملك عبدالله الثاني والرئيس السيسي رفضا على الفور التهجير السكاني في غزة

تعاني ألمانيا من انكماش اقتصادي والتوقعات لهذا العام ليست وردية

اقتصادها غارق في ركود وسط تآكل قاعدتها الصناعية ومنافسة خارجية شرسة

هل يمكن أن تكون مجدداً ألمانيا قاطرة نمو أوروبا؟

كتب المحرر الإقتصادي

ذات يوم، كان اقتصاد ألمانيا قاطرة نمو أوروبا الاقتصادي... عوامل عديدة وضعت ألمانيا في موضع الحسد بين نظيراتها الاتحاد الأوروبي وساهمت في تعزيز قوتها واستقرارها، أبرزها قطاعها الصناعي المتطور وبنيتها التحتية المتقدمة وسياساتها الاقتصادية الحكيمة.

لكن الوضع اليوم مغاير تماماً عما كان عليه في ذاك اليوم. فعندما تخلصت الولايات المتحدة ومعظم دول الاتحاد الأوروبي من الركود الناجم عن جائحة كورونا وأعادت تشغيل محركاتها الاقتصادية، بقيت ألمانيا ذات الاقتصاد الأكبر في الاتحاد الأوروبي، "عاطلة" عن العمل. إذ تعثر مسارها الاقتصادي في السنوات الأخيرة، حتى أن نموها الاقتصادي سجل انكماشاً العام الماضي. والتوقعات لهذا العام لا تبدو أفضل حالاً، فهي تُظهر اقتصاداً ينزلق بسرعة إلى الوراء.

لقد دخلت البلاد في انتخابات تشريعية مبكرة لانتخاب أعضاء البوندستاغ (مجلس النواب)، بعدما كان من المقرر اجراؤها في 29 سبتمبر (أيلول) 2025 لكن إقالة المستشار (في حينه) أولاف شولتس لوزير المالية وانسحاب بقية وزراء الحزب الليبرالي من الحكومة أدى إلى انهيار الائتلاف الحكومي في نوفمبر (تشرين الثاني) من العام الماضي. وكانت مسألة شح المال سبباً رئيسياً في انهيار الحكومة الاتحادية السابقة التي كانت مكونة من «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» و«حزب الخضر»، و«الحزب الديمقراطي الحر» (الليبرالي). فعند إعداد موازنة عام 2025، كان هناك نقص بقيمة 25 مليار يورو (26 مليار دولار)، وأراد كل من «الاشتراكي الديمقراطي» و«الخضر» تعويض هذا العجز من خلال القروض، لكن «الحزب الديمقراطي الحر» رفض هذا الإجراء رفضاً تاماً متشبثاً بنظام «كبح الديون». عندها، أدى عدم الاتفاق بين الأحزاب الثلاثة إلى انهيار الائتلاف.

و«كبح الديون» هو قاعدة دستورية ألمانية تم إدخالها خلال الأزمة المالية العالمية في عام 2009، في عهد المستشارة أنجيلا ميركل، لضمان الاستقرار المالي للبلاد، بعدما تكبدت الحكومة تكاليف باهظة لبرامج الإنقاذ بلغت نحو 464 مليار يورو، مما تسبب في ارتفاع الدين العام إلى نحو 81 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي في عام 2010.

قنبلة الانتخابات

جرت الانتخابات المبكرة، في فبراير (شباط) الماضي، وكانت نتائجها غير متوقعة. إذ شهدت عودة المحافظين بقيادة فريدريش ميرتس وصعود اليمين وسط خسارة مدوية للاشتراكيين. وهو ما وضع البلاد أمام مشهد سياسي معقد وتحديات اقتصادية متزايدة.

لقد كان الاقتصاد موضوعاً ساخناً أثناء الحملات الانتخابية، حيث اعتبر ميرتس أن خططه السياسية ـ بما في ذلك تخفيضات ضريبة الدخل والشركات، وتقليل البيروقراطية، والتغييرات في المزايا الاجتماعية وإلغاء القيود التنظيمية ـ من شأنها أن تعطي اقتصاد البلاد دفعة ضرورية.

وجاء تطور نتائج الانتخابات في وقت يعاني الاقتصاد الألماني من مخاطر ركود متعددة، مدفوعة بارتفاع تكاليف الطاقة، وتباطؤ الطلب العالمي، وتشديد القيود المالية. ويضاف إلى هذه المخاطر، تهديدات الرئيس الأميركي دونالد ترامب بفرض رسوم جمركية على الصناعات التصديرية الحيوية في البلاد، كما عاماً رابعاً من الحرب في أوكرانيا والتي كان وقعها شديد الوطأة على الاقتصاد الألماني. فبرلين تعتمد بشكل كبير على الطاقة المستوردة، وخصوصا الغاز الطبيعي من روسيا، فيما تسببت الحرب بارتفاع حاد في أسعار الطاقة، مما أثر سلباً على الصناعات كثيفة الاستهلاك للطاقة.

والحقيقة أن قدرة الحكومة على معالجة هذه القضايا مقيّدة بقيود "كبح الديون" المفروضة على الدين الحكومي والعجز، مما يجعل من الصعب تمويل الإنفاق العسكري، وتحديث البنية الأساسية المتداعية وتنفيذ مبادرات أخرى يقول خبراء الاقتصاد إنها حاسمة لتحفيز النمو. مع العلم أن تخفيف نظام ما يعرف بـ"كبح الديون" يتطلب غالبية الثلثين في البرلمان لتعديل الدستور. لكن نتائج الانتخابات لم تبشر بإمكان حشد الدعم المطلوب لذلك.

فريدريش ميرتس الفائز في الانتخابات

الركود الاقتصادي

تتمثل المشكلة الأكثر إلحاحاً في ألمانيا في الفرملة التي يمر بها نموها الاقتصادي، حيث تتوقع المفوضية الأوروبية نمو الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 0.7 في المائة فقط في عام 2025، وهو ما يمثل أبطأ وتيرة بين دول الاتحاد الأوروبي.

فمنذ عام 2017، نما الاقتصاد الألماني بنسبة 1.6 في المائة فقط، أي أقل بكثير من متوسط الاتحاد الأوروبي البالغ 9.5 في المائة. وقد أدت نقاط الضعف الهيكلية، كارتفاع تكاليف الطاقة، وانخفاض الاستثمار العام، والاعتماد المفرط على الصادرات، إلى ترسيخ الركود.

وأوضح توصيف لما يمر به الاقتصاد، ذاك التصريح الذي أطلقه وزير الاقتصاد روبرت هابيك في يناير (كانون الثاني) الماضي، حين قال: "ألمانيا عالقة في حالة ركود". وتلاه تصريح "منبّه" آخر أطلقه رئيس البنك المركزي الألماني (البوندسبانغ) يواكيم ناغل في منتصف فبراير (شباط) حذر فيه من أن الحكومة الألمانية المقبلة سترث اقتصاداً قد يظل راكداً للعام الثالث على التوالي. وقال بوضوح: «من غير الممكن استبعاد عام تقويمي ثالث على التوالي من دون نمو. وهذا يجعل من المهم للغاية أن تتخذ الحكومة الفيدرالية الجديدة تدابير فعالة بسرعة».

مع الإشارة هنا إلى أن «البوندسبانغ» سجل خسارة فادحة جديدة في العام 2024 بقيمة 19.2 مليار يورو بسبب الآثار المترتبة على عقد من التيسير الكمي والذي أعقبه ارتفاع حاد في أسعار الفائدة.

التضخم

استعاد معدل التضخم وتيرته التصاعدية ليسجل في فبراير (شباط) الماضي ما نسبته 2.4 في المائة في مستوى غير متوقع. وكان التضخم الألماني تباطأ إلى ما دون هدف البنك المركزي الأوروبي البالغ 2 في المائة في سبتمبر (أيلول) من العام الماضي، لكنه تسارع مرة أخرى بعد ذلك وظل فوق المعدل الحاسم لمدة خمسة أشهر متتالية الآن.

ورغم أن التضخم ارتفع في الآونة الأخيرة، فإن التوقعات تشير إلى بلوغه في المتوسط عند 2 في المائة في عام 2025، وهو أقل قليلاً من معدل التضخم البالغ 2.2 في المائة المسجل في عام 2024.

القاعدة الصناعية

تتآكل القاعدة الصناعية في ألمانيا، التي كانت ذات يوم العمود الفقري لاقتصادها. وقد انخفض الإنتاج الصناعي بشكل مطرد، حيث بلغ في عام 2024نسبة 90 في المائة فقط ما كان عليه من مستويات العام 2015.

ومن أبرز الضحايا، قطاع صناعة السيارات الذي غذى في الماضي صعود ألمانيا كقوة اقتصادية في أوروبا، وهو يفاقم أصلاً الأزمة الاقتصادية التي تواجهها البلاد. بمعنى آخر، يواجه صانعو السيارات عاصفة لا مثيل لها: التحول من محرك الاحتراق، الذي أظهر الهندسة الألمانية، إلى السيارات الكهربائية الأقل تعقيداً حيث لا تتحكم ألمانيا في تكنولوجيا البطاريات. كما أن مصنّعي السيارات الألمانية يكافحون أيضاً تراجع الطلب على السيارات الكهربائية في أوروبا، وارتفاع تكاليف الطاقة والعمالة، وانهيار المبيعات في سوقهم الرئيسية في الصين، ووصول منافسين صينيين شرسين إلى القارة.

سوق العمل

وتنعكس تحديات المشهد الصناعي أيضًا في سوق العمل. إذ ارتفع عدد العاطلين عن العمل في ألمانيا إلى أعلى مستوى له منذ عقد من الزمان متأثراً بضعف الاقتصاد على سوق العمل. وهو ما يجعل عدد العاطلين عن العمل قريباً من 3 ملايين شخص.

كانت آخر مرة ارتفع فيها عدد العاطلين عن العمل في يناير (كانون الثاني) في عام 2015 عندما بلغ 3.032 مليون شخص.

وتظل توقعات سوق العمل للعام الحالي قاتمة. فوفقاً لاستطلاعات حديثة، تخطط عدد أكبر من الشركات (28 في المائة) للمرة الأولى لتقليص الوظائف مقارنة بتلك التي تعتزم خلق وظائف جديدة (19 في المائة).

حيوية الاقتصاد

تواجه برلين معضلة كبيرة يصعب حلها تتعلق بتكلفة موارد الطاقة. في العام 2011، قررت التخلي عن الطاقة النووية والفحم واعتمدت على الغاز الروسي لتلبية حاجاتها. لكن الحرب الروسية على أوكرانيا تسببت بتدهور العلاقات بين موسكو وبرلين وأثقلت كاهل صناعات رئيسية في ألمانيا كالصلب والأسمدة والكيميائيات بفعل صعود أسعار الطاقة إلى مستويات قياسية بعدما قطعت موسكو الغاز عن أوروبا.

كما أن برلين تواجه تحدياً من نوع آخر، مصدره الصين. بعدما كانت صادراتها من السيارات تحتل الصدارة، بدات تتراجع بشكل كبير في ظل منافس شرس من نظيرتها الصينية. وهو الأمر الذي كبّد شركات سيارات كبرى في ألمانيا خسائر فادحة دفعتها إلى إغلاق عدد من المصانع، وهو حال شركة «فولكس فاغن» مثلاً.

لاشك أن مهمة الحكومة ليست سهلة أبداً، لكنها ليست مستحيلة. فمن يتذكر «أجندة 2010» الإصلاحية التي نفذتها الحكومة الألمانية المشكلة من تحالف الديمقراطيين الاشتراكيين والخضر في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، والتي إن لم تحقق أهدافها كاملة، يعرف أن لا شيء مستحيلاً، وأن لكل أزمة دواءها. ■

تعاني ألمانيا من انكماش اقتصادي والتوقعات لهذا العام ليست وردية

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

تجارب دولية في استشراف مشاهد المستقبل... التجربة الفرنسية ٢

لا يخلو التاريخ الفرنسي من مفكرين عمدوا، في القرون السابقة على القرن العشرين، إلى استشراف المستقبل عبر كتابات تماهت مضامينها أما مع مضامين روايات الخيال العلمي، أو عدت حصيلة لمقاربات علمية. وتكفي الإشارة، مثلا، إلى الفيلسوف الفرنسي، جان جاك روسو (Jacques Rousseau 1712-1778) Jean) فكتابه: العقد الاجتماعي، الصادر في عام 1762، يُعبر عن رؤيته الخيالية لمجتمع يتخذ مما يُسمى اليوم بالديمقراطية التشاركية، سبيلا لإدارة معطيات واقعه.

وكذلك الاشارة إلى المفكر الفرنسي، توكفيل (Alexis de 1859-Ticqueville,1805، وكتابه، الديمقراطية في أمريكا، والصادر في عام 1835. فهذا الكتاب تضمن رؤية مستقبلية للدور العالمي لكل من الولايات المتحدة الامريكية، وروسيا القيصرية في وقته (الاتحاد السوفيتي لاحقا) افادت «...أن كلا منهما قد خط القدر له أن يسيطر على مصائر نصف العالم». وقد أكد واقع عالم الحرب الباردة، بعد عام 1947، دقة هذه الرؤية.

إن توافر عدد من المفكرين الفرنسيين القدامى على رؤى مستقبلية لا يلغي أن التطبيقات العملية الفرنسية للتفكير العلمي في المستقبل تعد، كسواها الامريكية، حديثة النشأة تاريخيا. بيد أن هذا التماثل لا يلغي أن المنطلقات الاولية لكل من الاستشراف الامريكي وكذلك الفرنسي للمستقبل كانت مختلفة. فبينما ذهب الاستشراف الامريكي، في بداية انطلاقته، إلى جعل ضمان الامن القومي الامريكي غايته الإساس، كانت بالمقابل اهتمامات الاستشراف الفرنسي إنسانية ـ مجتمعية ـ تنموية نجمت عن الاخذ بفكرة التخطيط لإعادة إعمار فرنسا بعد دمار الحرب العالمية الثانية، فضلا عن التأثر بمنطلقات الفلسفة الوجودية.

فإما عن التخطيط، فقد أريد به إعادة بناء وإعمار فرنسا في مرحلة ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وقد أنيطت مسؤولية إنجازه بمفوضية تخطيط الدولة، التي قامت عام 1962 بتشكيل مجموعة التفكير لعام 1985 برئاسة بيير ماسي Pierre Masse. وقد تحددت غاية هذه اللجنة في دراسة الحقائق الاساسية التي تسهل معرفة ما الذي سيكون مفيدا لإعادة بناء فرنسا في عام 1985. لذا كان من مهام هذه المجموعة...استخلاص بعض أوجه المستقبل المقبولة للعقل ومفيدة للحركة ضمن مجال الممكن «ويؤكد، هوغ دو جوفنيل، أن الدولة الفرنسية»...كان لها دورٌ فاعلٌ جدا... وتطور فيها بقوة التفكير طويل الامد...».

وإما عن تأثير الفلسفة الوجودية لسارتر، فقد أدت مخرجاته إلى أن تتميز اهتمامات الاستشراف الفرنسي بطابع إنساني ـ مجتمعي. فهذه الفلسفة أكدت أن الإنسان يتمتع بكامل حريته، وإنه هو الذي يخترع مستقبله ويتحمل المسؤولية الكاملة عنه. ولإصالتها، يؤكد المستقبلي الامريكي إدوارد كورنيش أن: «... الاستجابة الواسعة اللاحقة لفكرة اختراع المستقبل أفضت إلى أن تضحى مفردة أساسية في قاموس اللغة الخاصة التي يستخدمها المستقبليون».

إن تاثر الاستشراف الفرنسي للمستقبل بفكرة اختراع المستقبل لم تؤد إلى تحوله إلى جهد منهجي منظم وهادف إلا منذ نهاية عقد الخمسينيات من القرن الماضي. ويكاد الرأي يتفق على أهمية الجهد الذي بذله كل من المستقبليين الفرنسيين الرواد: غاستون برغيه Berger Gaston، وكذلك برتران دي جو فينيل (Bertrand de Jouvenel)، فضلا عن ميشال غوديه (Michael Godet) في تأسيس ركائز الاستشراف الفرنسي للمستقبل، والتي تطورت لاحقا جراء دور سواهم. وفي أدناه، سيتم تناول رؤية كل من هؤلاء الرواد بالتتابع.

في عام 1957 ذهب، غاستون برغيه، إلى تأسيس المركز الدولي للمستقبل المنظور (Central International de La Prospective)، فضلا عن إصداره دورية تحمل تسمية (La Prospective) إن هذا المركز ودوريته يُعبران عن رؤية ومفهوم محددان للمستقبل، وكما يلي:

فإما عن الرؤية، فهي تؤكد أن ... الزمن، إذا أخذ ككل، ليس نوعا من المادة السائلة المستمرة التي تتقدم في انسياق متناسق وعلى امتدادها تنتظم الاحداث. فالماضي والمستقبل متغيران بالنسبة للإنسان، وهما ليسا لحظتين في السلسلة نفسها، وليس لهما معنى مادي حقيقي أو معنى إنساني إلا حين نبين صلتهما بأعمالنا. فالماضي هو ما تم فعله، والمستقبل هو ما سيفعل، (وإن) ...الالتفات نحو المستقبل بدل النظر إلى الماضي (هو) ليس ببساطة تغيير المشهد، بل الانتقال من المشاهدة إلى... الإعداد للفعل».

وإما عن المفهوم، فهو يختزل هذه الرؤية في ركيزتين اساسيتين: فإما عن الاولى، فمفادها انفتاح المستقبل على العديد من المشاهد المحتملة، ومن ثم تقف هذه الركيزة بالضد من فكرة أن المستقبل محدد سلفا. وإما عن الركيزة الثانية، فهي تؤكد أن الخيارات التي يتبناها الإنسان والافعال التي يقوم بها في الحاضر هي التي تصنع المستقبل وليس، مثلا، الاتجاهات الخيطية (الممتدة) لكيفية تطور الواقع تاريخيا. ويعبر مفهوم المستقبل المنظور، الذي ابتكره برغيه، عن هاتين الركيزتين.

ويفيد حاضر جل دراسات المستقبلات أن تأثرها بركائز مفهوم المستقبل المنظور يُعد عميقا. ولعل أحد التجليات الاساسية لهذا التأثير يكمن، مثلا، في اتجاه هذه الدراسات، إلى تفضيل استخدام كلمة المستقبلات، بدالة الجمع، بديلا عن الاستخدام السابق لكلمة المستقبل، بدالة المفرد. ولأهميته، فإنه يتمتع بتقويم إيجابي من قبل العديد من المستقبليين. فمثلا، ترى، ماسيني، أنه «مفهوم بالغ الاهمية (لأنه يؤكد على دور...) الارادة، والاختيار، والتغيير في صناعة المستقبل».

ونتفق مع رؤية ماسيني هذه. فالإرادة، أي إرادة الإنسان الواعي والحر، هي التي تدفعه إلى الاخذ برؤية محددة للعلاقة بين أبعاد الزمان لا تجعل من حقائق الماضي ومعطيات الحاضر عبئا على صناعة المستقبل، وإنما تدفع بهذا الإنسان إلى اختيار أحد البدائل المتاحة في الحاضر بين مجموعة منها، ولاسيما ذاك الذي يؤمن الارتقاء بالحاضر إلى المستوى الذي يمهد للتغيير ومن ثم للمستقبل المنشود والافضل. وعندما يصبح المستقبل المنشود حقيقة موضوعية، عندها يكون هذا الانسان قد حقق ما يصبو إليه.

ولتأكيده على دور الارادة والاختيار والتغيير، يجد مفهوم المستقبل المنظور استجابة واسعة داخل فرنس. اذ تم توظيفه لأغراض التخطيط. كما أنه يجد انتشارا في دول عالم الجنوب، ولاسيما في تلك التي استمرت نخبها تدعو إلى التغيير في واقعها الراهن، كثمة دول امريكية لاتينية، وافريقية ولاسيما الناطقة باللغة الفرنسية، هذا فضلا عن تبني مستقبليون عرب لهذا المفهوم. ومن بينهم مثلا المهدي المنجرة. وبالإضافة إلى غوستاف برغيه، يُعد برتران دي جوفينيل (Jouvenel, 1903-1987) من بين ابرز رواد الاستشراف الفرنسي للمستقبل شهرة وتأثيرا, هذا جراء دوره في نشر التفكير العلمي في المستقبل داخل فرنسا، فضلا عن تعميم رؤية الاستشراف الفرنسي للمستقبل خارجها.

إن الدور الذي أداه، جوفينيل لم يكن بمعزل عن دور المؤسسة التي قام بتأسيسها في عام 1967، وكان أول رئيس لها ايضا. وقد تم ابتداء" تسميتها: مستقبلات محتملة (Futuribles). بيد أنها صارت تسمى في عام 1973 بالفيدرالية العالمية لدراسات المستقبلات المحتملة International Futuribles Association وتطلع هذه الفيدرالية، التي تُعد المنافس الاهم لجمعية مستقبل العالم الامريكية، إلى تأمين ديمومة التواصل بين المستقبليين الفرنسيين وسواهم على صعيد العالم سبيلا للارتقاء بدراسات المستقبلات إلى افاق أرحب. وقد تم ذلك، وبالتعاون مع منظمة اليونسكو، عبر عقد المؤتمرات في العديد من دول العالم ابتداء من مؤتمرها الاول في باريس عام 1975 صعودا، هذا فضلا عن ذهابها إلى تامين لقاءات إقليمية بين المستقبليين، واستحداث دورات تعليمية تعريفية بدراسات المستقبلات، هنا وهناك، ناهيك عن الاستمرار في إصدار مجلتها، التي اخذت، ومنذ بداية عام 2017 تسمية (Human Futures).

لقد تأسست هذه الفيدرالية على مفهوم المستقبلات المحتملة (Futuribles) الذي ابتكره جو فينيل، وبدالة " ... أن المستقبل له صفة الجمع حيث إن احتمالاته متعددة (وإنه يمكن من خلال التدخل الانساني) تغييره قبل حدوثه. "وفضلا عن ذلك، يؤكد هذا المفهوم على أن ...«المستقبل ليس قدرا، بل مجال لممارسة الحرية من خلال التدخل الواعي في بنية الواقع القائم باتجاه الافضل...».

إن الشهرة التي اكتسبها جوفينيل لا تنبع من دور الفيدرالية التي قام بتأسيسها فحسب، وإنما أيضا من كتابه الصادر في باريس عام 1963، والمترجم إلى اللغة الإنكليزية عام 1967، بعنوان: فن الرجم بالغيب (The Art of Conjecture)، والذي تؤكد عدة اراء أنه من بين أهم المؤلفات الرائدة التي تناولت بعمق دراسات المستقبلات ومقارباتها المنهجية. ففي مؤلفه هذا يقول إن استشراف المستقبل: «... يتطلب معرفة الاتجاهات السائدة، ومدى سرعتها، والعلاقة بين الظواهر مهما بدت غير مترابطة، إضافة إلى تأثير ظواهر فرعية في بلورة اتجاه قد يعاكس ذلك الذي تفيد به ظاهرة (أو ظواهر) أساسية، (وهو فضلا عن ذلك دعا إلى)، عدم التركيز على حقائق الماضي والحاضر فحسب، وإنما ايضا على النيات الإنسانية، مهما كانت طبيعتها، والافعال الناجمة عنها».

ويرى، إدوارد كورنيش، أن جوفينيل لم يفهم دراسات المستقبلات كعلم وإنما كفن، ويستشهد على ذلك بعنوان كتابه أعلاه. بيد أننا نرى أن جوفينيل جمع في كتابه بين الموضوعية والاستهدافية، أي بين العلم والفن في الوقت ذاته.

وإما عن ميشال غوديه (Michel Godet)، فهو الاخر يُعد من بين أشهر رواد الاستشراف الفرنسي . علما أن شهرته لا تنبع من دوره في تعزيز مفاهيم ومقاربات وأدوات هذا الاستشراف في المؤسسات التي عمل فيها داخل فرنسا وكذلك خارجها فحسب، وإنما أيضا من مؤلفه الموسوم: الاستشراف الاستراتيجي للمؤسسات والاقاليم. ففي هذا المؤلف الرائد يطرح، ميشال غوديه، مجموعة افكار يتماهى بعضها مع رؤى غيره من المستقبليين الفرنسيين، ويختلف بعضها الاخر عنها. فهو مثلا، يذهب متماهيا مع سواه، إلى رفض مقاربة التنبؤ بالمستقبل. لذا يقول: «إن كل شكل من أشكال التنبؤ هو بهتان. فالمستقبل ليس مكتوبا، ولكن علينا إنجازه. والمستقبل متعدد، وغير محدد، وهو مفتوح على تنوع كبير من المستقبلات الممكنة...».

ومن هنا راح، غوديه، مثل سواه من المستقبليين الفرنسيين، إلى تبني مقاربة الاستشراف. ولأنه أدرك أن الاستشراف يفضي إلى تحرير ...«الإنسان من القدرية ويحث على الفعل...» رأى أنه «...يمثل استباقا (Anticipation) يستعد للفعل (Pre-active) ويستحدث الفعل (Proactive)، وينير العمل الحاضر على ضوء المستقبلات الممكنة والمأمولة. (وإننا عندما) نتهيأ للتغيرات المتوقعة (فإن ذلك) ...لا يمنع من أن نعمل على إحداث التغييرات المأمولة.

كما أن الاستعداد للتغيرات المتوقعة، لا يمنع من الفعل لإحداث التغيير المرغوب، ذلك أن الاستباق لا يمكن أن يتحول إلى فعل إلا عند تبنيه من قبل الفاعلين المعنيين».

وانطلاقا من أن تبني الاستباق من قبل أحد الفاعلين هو الذي يفضي إلى أن يتحول إلى فعل، أكد، ميشال غوديه، أن بين مفهومي الاستشراف والإستراتيجية تقوم علاقة وطيدة. ولا يلغي هذه العلاقة أن كل من هذين المفهومين ينطلق من سؤال خاص به. فبينما يتساءل مفهوم الاستشراف عن: ماذا يمكن، أو يحتمل، أن يحدث؟، وبالتالي يرتبط بفترة الاستباق، التي تنصرف إلى استشراف التغيرات الممكنة والمأمولة، يتساءل مفهوم الاستراتيجية عن: ما الذي يمكن أن أفعل؟ وبالتالي فأنه يرتبط بفترة الإعداد للعمل، وبضمنه بلورة وتقيم الخيارات الاستراتيجية الممكنة من اجل الاستعداد للتغيرات المرتقبة وإحداث التغيرات المرغوب فيها."

ومع ذلك يرى، غوديه، ضرورة التفرقة بين الاستشراف والاستراتيجية .بيد أن التباين بين هذين المفهومين يتقلص ويتراجع على نحوٍ ملموس عندما يضحى المشهد الناجم عن حصيلة عملية الاستشرافٍ بمثابة الركيزة التي تستهدي بها الاستراتيجية في سعيها إلى نقل المشهد من إطاره النظري إلى إطاره العملي، ومن ثم تحوله إلى حقيقة موضوعية.

وقياسا على علاقة الترابط بين المفهومين: الاستشراف والاستراتيجية، ابتكر، ميشال غوديه، مفهوم الاستشراف الاستراتيجي Strategic Foresight، الذي يجد ومنذ عقد الثمانينيات من القرن الماضي انتشارا واسعا ولاسيما بين المستقبليين. ويرد هذا الانتشار إلى فوائده، التي تكمن في مساعدة قادة المؤسسات والقائمين على الأقاليم وسواهم من امتلاك المفاهيم والمناهج القادرة على إنارة حاضرهم على ضوء المستقبلات الممكنة.

ولتأثير رواد الاستشراف الفرنسي : بيرغيه، وجوفينيل، وغوديه، مثلا، أستمر الاستشراف الفرنسي للمستقبل متأثرا، في العموم، بسمات أصالة النشأة، والخصوصية، بمعنى النزوع نحو التميز عن الاستشراف الأمريكي للمستقبل.

ويتناول المستقبلي الإسباني (Jordi Serra del Pino) هذه السمات من جانبين مهمين:فإما عن الجانب الاول، فمفاده اقتران الاستشراف الفرنسي للمستقبل، ومنذ بدايته، بفكرة التكامل المنهجي. فهذا الاستشراف ادرك جدوى توظيف العديد من المقاربات المنهجية سبيلا لتحقيق الغاية المنشودة. وبهذا يتميز عن ذلك الجهد، الذي استمر ينصرف إلى استشراف مشاهد المستقبل على وفق مقاربات محددة وبمعزل عن سواها.

وإما عن الجانب الثاني، فهو يجسد ارتباط الاستشراف الفرنسي بمقاربتين أساسيتين: الاولى، هي مقاربة التحليل الهيكلي (Structural Analysis)، التي تنصرف إلى تحليل العلاقات المباشرة وغير المباشرة التي تربط بين مجموعة متغيرات ذات مضامين متنوعة سبيلا لاستكشاف تأثير دورها في بناء المستقبل. ويؤكد المستقبلي الاسترالي، سلوتر، أن هذه المقاربة تستخدم أليات ذات مضمون كمي عال الإتقان. ■

---

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

كتابة وإعداد: ماجدة داغر . شاعرة وإعلامية لبنانية

لكلِّ مقامٍ ...

فجائع السيّرة

كُنْ وطني،
أنا المولودة بلا أرضٍ، بلا غصنٍ، بلا يدٍ تكفكف حزن البلاد.

كن وطني، فلا يُسائلني جنديُّ الحدود، عن معصمي المدمّى، عن القيود. ولا يعبرُ الرّعاةُ فوق صوتي، وأنا أغنّي لتنامَ زهرةٌ وحيدة.

كن وطني، أنا المولودةُ بلا ترابٍ، بلا هضبةٍ ترتاحُ عند سفحها خَيبتي. أنا المولودةُ بلا وجهةٍ، بلا طريقٍ، بلا أهاتٍ مكتومة، أنا الضّجّرةُ كانتظاراتِ المَنسيّين.

كن وطنَي، فلا يكشف الغزاةُ مخبأي، ولا يتوارى في الغياب ركامي،

وأنا أطولُ كوقتِ مخادع، وأنا أطول كموت مراوغ.

كن وطني، حين تباغتني صباحات الوطن، وأنا أتحلّق حول شتاتي،

أتكوّر كقبضة، أنشطر كغيمة الألوان القاتلة.

كن وطني، حينَ للأوطان سيولٌ دامعة، وغربةُ الأقحوان حين تراودني عن مناماتي فجائعُ السّيرة وتهويماتُ المسرّة، حين تتقلّبُ البلادُ على خاصرتي الجرح، وأهوي كرُمحٍ مسنون.

كن وطني، كن طيفَه المطلِّ بالأسى، وانتظرني، ربما أبلغُ شرودَ ظلّه ودُوارَ الطّواف.

ربّما ألتئم في جذعه وهو يتقاسمُ مع الغابةِ مزايا الرّيح.

كنْ وطني، كن صوتيَ المنفيَّ، في أقاصي الغصّة حين تتشظّى العزلةُ من الأبواب، ويتسلّق الصّراخُ شُرفات الكآبة.

وانتظرني، انتَظرني على مفارقَ دامعة، وفي أحداقٍ لامعة، وفي فجرٍ يؤبّدُ الحسرة. كن وطني، أنا المولودة بلا حبلٍ سرّةٍ يصل البكاءَ بحزن القافلة وتُربَطُ بطرفه المُدلّى وَحشةُ البئر.

لا ماء في حُلم النّهر، ما لم تبلغ الأوطانُ سرَّ الكأس المقفّى واختمارَ العنبر وأرقَ الوهاد.

كن وطني لأستقيمَ كالقوس المشدود، وأحبسَ الهواءَ في ارتحال القوارير، أنا المولودة برئةٍ من مسك الغزال، وأنفاس المحارة.

كن وطني، فأعبر إلى الضفّة المنتظرة الأحلام المبلّلة، فأُنام، على ذراعِ المَمتدّةِ كَوشائجِ التّراب.

كن وطني وانتظرني، انتظرني، أنا المولودة بلا أرضٍ بلا غصنٍ بلا يدٍ تكفكف حزن البلاد.■

ماجدة

أمسية موسيقية ساحرة في بيروت احتفاءً بالشهر الفرنكوفوني

المايسترو غارو أفيسيان

■ احتفاءً بالفرنكوفونية العالمية، وفي شهر آذار/مارس المخصص لها، أقامت المنظمة العالمية للفرنكوفونية في الشرق الأوسط مع سفارات: أرمينيا، بلجيكا، كندا وسويسرا لدى لبنان والمعهد الوطني العالي للموسيقى حفلة موسيقية بعنوان de la Francophonie Harmonie بالتعاون مع «الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية».

أحيت الحفل الأوركسترا الفلهارمونية الوطنية اللبنانية بقيادة المايسترو غارو أفيسيان بمشاركة عازفة البيانو الروسية البريطانية إيفلين بيريزوفسكي. تحدث في الأمسية ممثل المنظمة العالمية للفرنكوفونية في الشرق الأوسط سفير ليفون أميرجانيان وقال: "اذا كانت الفرنكوفونية هي لغة نتشاركها فالموسيقى هي لغة عالمية تتجاوز الحدود والأزمنة، وترفدنا بالأحاسيس والتعابير التي تتخطى الكلمات. هذا الحفل يختصر كل هذه المثل، إذ يحتفي بالحوار والمواطنة والتلاقي من خلال الفن والموسيقى الجامعة. أمسيتنا الجميلة تحتفي بالتنوع والأخوّة والاحترام، هذه القيم التي تشكّل روح الفرنكوفونية ورسالتها الكبيرة".

قدمت الأوركسترا بقيادة المايسترو غارو أفيسيان برنامجًا موسيقيًا معاصرًا ضمّ مؤلفين موسيقيين من شتى المدارس الموسيقية الفرنكوفونية، حيث قدمت الأوركسترا أداءً استثنائياً تخللته مشاركة من العازفة إيفلين بريزوفسكي على البيانو، لتأخذنا في رحلة موسيقية متنوعة تنبض بالحياة.

بنبض ناجي حكيم المتدفق حياة وإيقاعًا، افتتح أفيسيان الأمسية بميدلي كلاسيكي جمع أنماطًا موسيقية مختلفة، تخللته هوية حكيم الخاصة في توزيع فاتن تلألأت على نغماته آلات النفخ والوتريات والإيقاع في الافتتاحية اللبنانية التي تضمنت أيضًا جزءاً من النشيد الوطني وقف الجمهور عند أدائه. وعكست المعزوفات المختارة تنوع الخلفيات الثقافية للمؤلفين، كما توّج الأمسية عنوان موسيقي عريض هو الحداثة والمعاصرة في ما قدّمته الأوركسترا من معزوفات، تفوقت فيها على نفسها في الجرأة بالطرح الموسيقي المعاصر. فمن مقطوعة "صوت الرياح" لآرثر هونيغر، الذي اشتهر بتجسيد مشاهد الطبيعة في موسيقاه، كانت الألحان تعكس الحركة الديناميكية للريح في تنقلاتها بين الهدوء والعواصف. إلى فيفيان فونغ، بلمستها المعاصرة في تداخل الأصوات ما أضفى تجربة سمعية جديدة ومثيرة. من جهة أخرى، كانت أعمال بوغوص جيلاليان تجسد الإرث الأرمني، حيث أظهر التناغم بين الآلات الأوبرالية والتقليدية قدرة فنية استثنائية في نقل التراث إلى آفاق جديدة.

تمكنت الأوركسترا بقيادة المايسترو غارو أفيسيان من إبراز التنوع الغني في المعزوفات بفضل توجيهاته الدقيقة وعصاه الساحرة وحركاته المفعمة بالحيوية، في حين قدمت إيفلين بريزوفسكي أداءً بيانيًا رائعًا، حيث أظهرت مهاراتها الاستثنائية وقدرتها على استحضار مشاعر عميقة، مما أضاف للموسيقى جمالًا فائقًا وأثرًا عاطفيًا في نفوس الحضور.

المهرجان اللبناني للكتاب بنسخته الثانية والأربعين

■ «المهرجان اللبناني للكتاب» عاد لهذا العام بنسخته الثانية والأربعين، برعاية رئيس الجمهورية العماد جوزف عون ممثلًا بوزير الثقافة الدكتور غسان سلامة، وذلك بعد سنتين من غياب الرعاية الرسمية بسبب الفراغ الرئاسي.

يعود المهرجان مؤكدًا على الدور النهضوي الذي اضطلع به طيلة العقود الماضية، في رسالة مستدامة كرسته كأبرز المساحات الثقافية اللبنانية. وكما يدل اسمه، فهو ليس معرضًا للكتب تنظمه «الحركة الثقافية ـ أنطلياس» وحسب، إنما هو صوت حضاري جامع للفكر والثقافة والعلم. امتد المهرجان الثقافي من 6 إلى 16 آذار/مارس في روزنامة أنشطة متميزة تنوعت بين الندوات الفكرية والأدبية والتكريمية، والأمسيات الشعرية وتواقيع الكتب التي أضفت زخمًا على حركة رواد المعرض، بالإضافة إلى مشاركة معظم الجامعات الخاصة الكبرى والجامعة اللبنانية.

ومن أبرز الفعاليات التي رافقت هذه النسخة: تكريم أعلام الثقافة من البارزين في المجالات كافة، والمرأة في يومها العالمي والمعلّم في عيده. كما جرى تنظيم ندوات عدة حول مختلف القضايا الوطنية والثقافية والاجتماعية، بالإضافة إلى الندوات التي نظمها بعض المشاركين من دور نشر وجامعات لعدد كبير من إصداراتها.

ولمناسبة مئوية منصور الرحباني، تمّ تخصيص قاعة لعرض بعضٍ من نتاجه الفني ونتاج المدرسة الرحبانية. كما أقيمت ندوة حول منصور الرحباني وأمسية فنية من إرث الأخوين رحباني في ختام المهرجان بإدارة أسامة الرحباني.

أما دور النشر فقد فاق عددها الخمسين وكانت حاضرة بإصداراتها الجديدة مثل «دار سائر المشرق» و«دار صادر»، و«دار النهار» التي أطلقت بعض الإصدارات الجديدة مثل كتاب «صنوف الأدب في ملوك العرب» لأمين ألبرت الريحاني الصادر في مناسبة مئوية صدور «ملوك العرب» لأمين الريحاني، والطبعة الجديدة لثلاثية يوسف حبشي الأشقر التي صدر أول أجزائها «أربعة أفراس حمر» بحلّة جديدة، إضافة إلى كتاب بالفرنسية حول التمويل بحسب الشريعة الإسلامية للباحث مالك بو حمدان، وكتاب باللغتين الفرنسية والعربية حول المذكرات السياسية للقاضي السوري حنا بك المالك بقلم نجله نبيل المالك. وكما كل دورة خصصت الحركة منَصة «المنفردون» للمؤلفين الناشرين لإصداراتهم لتوقيع مؤلفاتهم في قاعة خاصة.

كما أطلقت «مؤسسة موريس عواد» في هذه الدورة «الأعمال المختارة لموريس عواد» وهو أحد مؤسسي الحركة الثقافية في ثمانينيات القرن الماضي، وتعنى المؤسسة بنشر تراث عواد الذي نذر حياته للّغة اللبنانية، والوطن اللبناني والهوية اللبنانية. وتجاوز نتاجه 56 كتاباً بالمحكية بين شعر ونثر ومخطوطات ستطبع قريبًا.

جانب من إحدى الندوات

«نبيّ» جبران في معرض من لغات العالم

■ «رحلات كتاب النبي لجبران عبر لغات العالم» عنوان المعرض الذي أقيم لترجمات كتاب «النبي» لجبران خليل جبران في المكتبة الشرقية ـ بيروت من تنظيم «مهرجان بيروت للأفلام الفنية الوثائقية»، و«المكتبة الشرقية»، بالتعاون مع «متحف جبران»، وذلك في الذكرى المئوية لصدور الكتاب عام 1923 في الولايات المتحدة عن ألفرد كنوبف.

لا يزال جبران خليل جبران محط اهتمام العالم والكتّاب والقرّاء والمترجمين حتى بعد مرور مئة وسنتين على صدور كتابه الأشهر الذي قال عنه: هذا الكتاب يُمثّل ولادتي الثانية. كُلّ كياني وضعته في كتاب «النبي». لم تتوقف الترجمات منذ حين صدوره حتى اليوم بلغات ولهجات عديدة من جميع أقطار العالم. وهو الكتاب ذو الشهرة العالمية الذي حمل جبران إلى شتى أنحاء الأرض، مضيئًا على فكر استثنائي لابن شمال لبنان. بلغت الترجمات في المعرض 76 لغة، بمعدل نسخة واحدة من كل لغة، قُسِّمت في المعرض إلى 5 مجموعات تحتوي كل مجموعة ما بين 10 إلى 16نسخة، وتم إدخال النسخة الأولى على المعرض من مكتبة فارس الزغبي في الجامعة اليسوعية، فيما شملت اللغات التي جرت ترجمة الكتاب إليها وعرضت في المعرض الفرنسية، والبرتغالية، واليابانية، والألمانية، وغيرها من اللغات، بالإضافة إلى ترجمتين عربيتين هما: ترجمة هنري زغيب 2003، وترجمة أنطونيوس بشير 1997 .كذلك ضم المعرض ترجمات بالإيطالية سنة 2004، وطبعة بالفرنسية على صيغة كتاب جَيْب، وبالفارسية ترجمة حسين الله كمشة 1971. أمّا على صعيد اللكنات واللغات القديمة واللكنات المحلّية، فاحتوت مجموعة "المكتبة الشرقية" على العديد منها كالسريانية والأفريكانية والباسكية والألزاسية، بالإضافة إلى ترجمة واحدة بلغة الإسبرانتو المُصطَنعة. واتسمت النسخ الأولى ببساطة الأغلفة وإخراجاتها، وتنوّعت بحسب الطابع الفني والثقافي المتوافق مع أذواق الشعوب التي جرت الترجمات فيها. وعبر الترجمات المعروضة، يتبين تعامل كلّ دولة أو ثقافة مع كتاب «النبي»، وبأيّ صورة قدّمته، سواء عبر الغلاف وتصميمه، أو حجم الكتاب، أو نوع الورق المُستخدم لطباعة النسخة الخاصّة بكلّ دولة.

تجربة الروائية السعودية رجاء عالم

«ستر».. المرأة مرايا للواقع

اليمن ـ لطيفة حسيب القاضي*

اشتغلت الروائية السعودية رجاء عالم على القضايا الإنسانية التي تخص المرأة وعلاقتها بالمحيط الثقافي ومكونها المعرفي، ونظرة هذا المحيط إليها؛ فكتبت عدة روايات مثل: طوق الحمام، خاتم، باهبل، سيدي وحدانه، ستر وغيرها عن الحياة المسلوبة للمرأة والمهمشة في عالم الرجال.

يذكر أن الروائية رجاء عالم كاتبة مسرحية وروائية سعودية ولدت في مكة المكرمة، فهي أول امرأة تفوز بالجائزة العالمية للرواية العربية «البوكر» وتعد من رائدات الأدب النسوي في المملكة العربية السعودية، ومن ممثلات الأدب التجريبي فيها. وثقت عالم البيئة المكية في رواياتها، وابتكرت أسلوبًا ولغةً خاصةً بها إذ أنها غاصت في عوالمها السردية في العمق الروحي والتاريخي والجغرافي. نالت تسع جوائز إبداعية في المملكة وبعض الدول العربية الأخرى. لها نحو 18 كتابًا ما بين الأدب الروائي والمسرحي. من هنا سوف نتحدث حول تجربة الروائية السعودية رجاء عالم من خلال رواياتها «ستر» الصادرة عن المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ـ المغرب ٢٠٠٥ الرواية من أربع وستين ومائتي صفحة. تأتي أهمية الرواية في التنقل بين الأمكنة والأزمنة المتشظية للبحث عن حقيقة الإنسان بغض النظر عن جنسه.

يحمل عنوان الرواية «ستر» ثمة جنسيًا واجتماعيًا، حيث يرتبط بمفهوم "الستر" المتحقق بزواج المرأة. فقد كتب في صفحة العنوان اسم الرواية «ستر» وجاء التنويه أسفل الاسم: "النفس تسكن إلى مثلٍ وإن لم يكن مثلًا" فمن منطلق الاسم يبدو أن ثمة شيء لا يتجاوز إلا بمعنى الستر ويبدو أن الجنس عندها خرج من الشهوانية لمنطقة أكثر إنسانية وطهارة حيث أن رجاء عالم لمست أكثر المواضيع إرباكا بخفةٍ ولغة أكثر سحرا. جاءت خلفية الرواية بيضاء وعلامات سوداء ترمز إلى فطرة الأنثى ونقائها ، في حين تبرز علامات سوداء وحمراء على هيئة خطوط غير منتظمة على الخلفية للدلالة على الاضطراب والأحداث المأساوية التي قد تقع فيها الأنثى علاوة على الأحداث العارضة التي يمكنها تجاوزها.

تركز الرواية على تصوير الصراع الداخلي بين الشخصية الروائية و الشخصية الميتا سردية التي تتأرجح بين وجودها الأنثوي وحاجتها الإنسانية. حيث تتراقص هذه الشخصية بين سطور النص لتعلن الساردة تمردها وانشقاقها لرؤية المجتمع للمرأة بوصفها إنسانا مقيدة بقيود لا حد لها ، وناقشت رجاء عالم حال المطلقات في المجتمع الشرقي، والذكر وحبه للتملك، والبدوي ومعاملته للأنثى ؛ فكشفت عن المسكوت عنه في المجتمعات الشرقية. كما أنها كشفت الستار عن أجواء المملكة سواء عن طبيعة البشر وطبيعة الأماكن، فقدمت صورة حية عن المرأة السعودية وما تعانيه في مجتمعها. كتبت رجاء عالم الرواية بهاجس روحي ومعرفي.

«ستر» عالم أنثوي بامتياز مربوط بالحجاز و أحيائها ومقاهيها .."مريم" الحجازية وصديقتها «طفول» التي يعود أصلها للبدو . لقد طرحت قضايا مثيرة للنقاش الديني خصوصا كالفردوس، وولاية الثيب في تزويج نفسها، وما وراء آدم وحواء والحكمة الإلهية التي قذفت بنا على هذه الأرض، فعادت إلى خلق آدم لتؤرخَ لفكرتها بمنطقية وعقلية في الوقت نفسه. وناقشت علاقة الرجل بالمرأة وطبيعة تلك العلاقة.

تعدُّ ستر عمل يورد أفكارا جريئةً أظنها من قناعات الكاتبة فهي تسعى بشخوص الرواية نحو البحث عن فرصة للتنفس بحرية في المجتمع السعودي دون أن تلحظهُنَ عين الرقيب و المسؤول لتمارس كلٌ منهن طريقتها في العبث.

رجاء عالم لديها تلك الميزة العجيبة في تغليف مشاهد الحب بتشبيهات لغوية صارخة مما يضفي للنص قيمة لغوية عذبة. فكتبت بقلم ممشوق يغوصُ في غور الحَقيقةِ المُغيبة مُجتمعيا، المَنسوبةِ بحكم العادة والقبيلة ونقص النضجَ العقلي إن صحَ التعبير.

رواية «ستر» الأكثر تميزًا وتعقيدًا ليس فقط على مستوى السرد بل على مستوى الموضوع واللغة أيضًا فهي تمثل تجربة سردية متفردة تثير التساؤلات حول التصوير الدقيق لما داخل الشخصيات من مشاعر فكانت رجاء عالم بارعة في توظيف الأدوات الفنية للمساهمة في إظهار الصراع الداخلي من خلال المونولوج الداخلي الذي له دور كبير في بناء الحدث وكشف أبعاد الشخصية ومكوناتها فيدرك المتلقي خصوصية في التشكيل والبناء.

تحكي الكاتبة رجاء عالم عن مريم ، وأسرتها ، وصديقاتها من سكان مدينة جدة. مريم التي أحبت «بدر» الأربعيني حيث كان حبها الأول في لندن لكن فرق السن بينهما وأشياء أخرى لعبت دورًا كبيرًا في الانفصال. لتمر السنوات وتتزوج «محسن» وتدخل في معاناة زوجية أخرى تنتهي بالطلاق، ثم نظرة المجتمع والعائلة لها في ذلك الوقت. فتمر بعدها السنين، ومن خلال سفرها إلى مصر تلتقي بحبها الأول «بدر».

إن المتتبع للبعد الاجتماعي في «ستر» يلمسه واضحًا في الحياة الزوجية فيقف المتلقي أمام صورة غير مألوفة يغلب عليها الطابع الأنثوي فتصف موقف الشخصية الأنثوية من الحب والهجر والفراق وآلامه، والغربة والعادات الاجتماعية في الزواج والطلاق ورسم لأبعاد الصراع النفسي؛ فتبدأ الرواية برسم صورة أخيها مروان المشغول وراء الكتابة والشاشة الفضية ذلك الرجل الذي يتمتع بمطلق الحرية رغم فشله في إدارة حياته تقول مريم: «وراء ذلك الزجاج لا تزال خيوط من بخور العود جامدة في الهواء من ليل أخيها يسهر كل ليلة يعاقر البخور والشعر ص5» في المقابل أظهرت صورتها المهمشة والمسلوبة في هذا العالم الذي يحتفي سواء بالرجل في حوار مع أمها تقول: «أنت طافية لكأنما في سماء خارج هذا العالم ص8»، وهي تدرك بأن أمها مدفوعة لهذا الدور. فهنا نجد تناقضًا واضحًا في الصورتين. أخ فرض على نفسه العزلة رغم الحرية، أما هي ففرضت عليها العزلة والسجن رغم رغبتها في الحرية ومن هنا تنقلنا الكاتبة إلى قضية أخرى وهي قضية المرأة ضد المرأة .

جاءت أمها بالهجوم عليها بمرارة «تسمحين لهم بالطعن في تربية الغريبة ص6»، أمها التي من أصول لبنانية، وبسبب حرية "مريم" بالخروج من البيت وغيابها المتكرر في تلك الشقة التي تتردد عليها في حي الحمراء وهي مطلقة وكأن الطلاق وصمة عار على كل مطلقة؛ فتلزمها أمها غرفتها لا تخرج منها إلا للعمل بصحبة أخيها فتجلس حبيسة في وحدتها تسترجع أحداث عام مضى «الآن ومحبوسة صارت مشاهد حياتها مثل عروض برودواي جديرة بالترويج وراء شباك تذاكر للعامة، جلست بينما صدى عام مضى يتراجع في المدينة حولها ص 10» مستعينة بحديث النفس لرسم أبعاد اجتماعية ونفسية ذات خصوصية في التشكيل والتصوير.

من الملفت اعتماد رجاء على آلية الحوار الداخلي ليمتد فيشمل الرواية كلها، غير أنه في نصفها الأول أعم وأكثر انتشارًا ولعل السبب يرجع إلى تمكنها من الكشف عن كوامن الشخصيات في ستر.

درست رجاء عالم شخصياتها بعمق آسر مريم، الشخصية الرزينة المتناقضة. ومحسن، وانفتاحه وخوفه من الإنجاب . بدر، الشاعر المثقف الذي لم يعاند الحب في قلبه وعلاقته بالمرأة. وعفاف، الغامضة التي تفضل عدم البوح بما يجري في خلجاتها . زايد، واحباطات ومقاومته. ريبيكا، التي أسلمت وقيمها نصرانية.

طفول: «ببساطة أريد أن أحب» ضحكت عفاف، وهتفت مريم:

الروائية رجاء عالم

الدكتور السويدان الكويتي جاء لجدة في دعوى خاصة، قام بمقابلة عدد من الأزواج في محاولة لمساعدتهم على مواجهة مشاكلهم الزوجية، أنا ومن باب الفضول حضرت واحدة من جلساته حيث قال: آدم الرجل مخلوق من طين من مادة ميتة باردة مصمتة بينما حواء المرأة مخلوقة من ضلع آدم من مادة حية من لحم ودم ونبض، استجابة اللحم والدم غير استجابة الطين.. من هنا تجيء إحباطات الحب بين طين ولحم. ص39,38 "من منطلق المونولوج يظهر موقف كل واحدة منهن حيال الرجل. يغلب على «مريم» رجاحة العقل ترى ضعف الأنثى باقترانها بالرجل لذا بابتعادها عن الرجل تظل المرأة قوية. كما ترى أن المشاكل الزوجية والفتور في العلاقات الأسرية سببها الرجل. أما "طفول" فعلى نقيضها، هدفها في الحياة الاقتران بالرجل ليجبر ضعفها، أما «عفاف» هنا لا تظهر أي مشاعر لصديقاتها وتحتفظ بأسرارها، غامضة ومثالية. نجد «مريم» تظهر أمام صديقاتها بصورة تتمناها ولكنها مغايرة لواقعها الذي يظهر واضحًا أمام «بدر»، ومحاولات التمرد على عادات وقيم المجتمع في الزواج فنراها تتزوج من «بدر» سرًا رغم معارضة أهلها ورفضهم للزواج منه، وتحاول بعد ذلك من توثيق عقد الزواج في المحكمة ولكن القاضي يطلب منها موافقة ولي أمرها فتجتهد في أقناع القاضي قائلة له: «أنا بالغة وعاقلة وثيب وبعض المذاهب الفقهية لا يشترط موافقة الولي في مثل حالتي ص 261»، في تلك الحالة نجد تمردًا راسخًا وهذه نقطة نمو وتحول في شخصيتها ولكن النمو ينتهي بالإخفاق وتتطور القصة ويكون التفاعل ظاهرًا أو خفيًا وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق. لعل رجاء أحبت إرسال رسالة مبطنة مفادها أن محاولة المرأة السعودية بأخذ حقوقها ستظل مستمرة بالمحاولة شرف وإن فشلت .

إن ظهور البعد الاجتماعي واضح لتلك الأسرة المغتربة. نجد «فهد» المتزوج من «طفول» بعد زواجهما سافرا إلى ميامي بالولايات المتحدة الأمريكية وفي الغربة تعاني «طفول» من آلام الوحدة و إهمال زوجها لها واكتشافها سوء خلقه فهو دائم السهر في المراقص ويشرب الكحول ويواعد النساء تصمد هنا «طفول» أمام تلك الصعاب محافظةً على بيتها وفي وحدتها تجري هذا الحديث وهي تنظر إلى كلبها كماننا وتقول: «يلومنني على حبك يا كماننا يا أغنية الفرح في غربتي ص 110» فهي مثال للزوجة المثالية التي ترعى بيتها وتحفظ زوجها في ماله ونفسها وتتحمل مشاق الحياة والوحدة وآلامها فتمهد الطريق لزوجها في غربته ليصل ويدرك غايته التي من أجلها سافر إلى تلك البلاد النائية غير ذلك يهملها زوجها غير عابئ بآلامها.

كما استحضرت في نصها عين «محسن» العين الكاشفة التي كانت تراقب كل شيء بواسطة عمله كمصور يختلس النظر للوجوه طوال الوقت «عين المصور معدنية وفي آلة تصويره، عين لا تملك بدفء عين العاشق ص96».

وظفت رجاء عالم العديد من الموتيفات المتواشجة، والرمزية المتداخلة والمتشابكة إلى جانب الصور التي تحمل دلالات كونية هائجة مثل :الماء والنار والتراب والرياح لتعبر عن الآفاق الأنطو فينومينولوجية، فأسفر نصها السردي عن جسد يتصل بالأجساد الأخرى داخل دوامة السؤال ويمجد وجوده في الكون و تعالقه مع نسيج العالم.

نصوص رجاء عالم تأخذنا إلى عوالم سردية غير مكتشفة،غنية بالتاريخ المكي وفلسفاته كما أن لغتها تقترب من النص الصوفي في سرديتة رمزية تستند الى رؤى كونية مفتوحة؛ يتطلب أسلوبها جهدًا لفك شيفراته ومعانيه. إذ تمتلك قدرة سردية تتميز بنضجها مما جعلها تلامس إشكالية التلقي بعمق ودقة.

منحت رجاء عالم في «ستر» المرأة عقلاً وقدرةً على الفعل، فخلخلت الصورة النمطية للنساء في عالم تسوده الذكورية حيث ينهض السرد على معارضة فكرة كراهية الذات واحتقار الأنثى والإحساس بالدونية فلغتها قائمة على إثبات الوجود للمرأة والبحث لها عن هوية والصمود في وجه القوة الذكورية هذا يتجلى واضحًا في النص.

تزخر الرواية بلغة التضاد؛ حيث تنقل لنا جميع الإحباطات التي فرضت على المرأة في المجتمع العربي. وتأتي اللغة في النصف الثاني من الرواية لتفاجئ المتلقي بروعتها وقوة تأثيرها بما تحمله صورها من رمزية تتسم بالغرابة، والغموض، والتعقيد مما يرفع القيمة الفنية للرواية بشكل لافت.

فكرة الكتابة عن المكان ساحرة خصوصا حينما يكون هذا المكان هو الوطن، رجاء عالم رائعة في وصف الأمكنة و تفصيلها و في وصفها جدة وَ الرياض و للجزيرة العربية وَ الصحراء الملتهبة .

يستنشق النص من العطور ورائحة البخور إذ تتجلى فيه تجارب الحواس في إدراك الوجود والآخر. فقد استطاعت رجاء اللعب بالحواس وتحريرها بعد إيقاظ الجسد من غفوته وبعث الحياة فيه. حتى روائح البخور والعطور تلج بين الكلمات والحروف فأحاطت بتوليفة من العطور ذات الغواية والسحر الأبي وهذا من شأنه يستعيد الارتباط الأول للصورة البدئية الكامنة فينا من خلال ذلك تقول: «شعرت طفول بجسدها ينضم في تلك القبضة بغبار الورد والعنبر وبقايا أدهان الطيب.

شكلت الأدوار في الحوارات التي تدور بين الأبطال إطارًا أدبيًا مسرحيًا فلسفيًا . حيث تتجلى فلسفة الحياة و معانيها العميقة. تعكس الرواية فكرة أنه لا توجد حياة كاملة ولا لوحة مكتملة. وأن الحب سيظل قضية محيرة في حياة كل منا. تطرح رجاء فلسفة النصف الآخر إذ قد نخطئ في العثور عليه فنقترن به ، ربما خلق البعض بأكثر من نصف. كما تتناول فلسفة الألم ذلك الذي لا يضاهي نجاح الخروج منه. رواية ستر تفسح المجال للكشف عن ستر الأسئلة التي يجب طرحها على المتلقي، هل مازالت المرأة عورة؟ وكيف ننظر للمرأة في عصرنا الحالي؟

تُرى مازالت المرأة في ثقافتنا المعاصرة تشكل عبئا على مجتمعها؟ وهناك عشرات الأسئلة يمكن طرحها في السياق، وليس المطلوب من رواية واحدة وأكثر الإجابة ، بل المطلوب الكشف عن الأسئلة وهذا ما فعلته رواية «ستر». ■

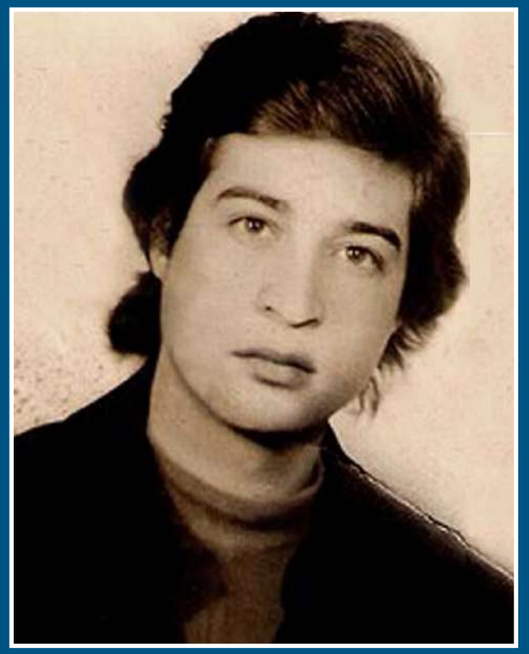

رياض الصالح الحسين..
شاعر وُلِد من رحم المفارقة

الحُبّ والموت.. الثورة والقُبلة

سوريا ـ فاطمِا خضر*

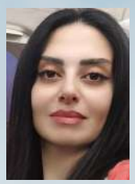

كأغلب شعراء قصيدة النثر في مرحلة السبعينات، بدأ الشاعر رياض الصالح الحسين ابن بلدة مارع التابعة لمحافظة حلب (شمال سوريا)، المولود بتاريخ (10 مارس/1954) في درعا (جنوب سوريا)، بكتابة القصيدة الموزونة المُقفّاة، ونُشرت أوّل قصيدة له عام 1976 في مجلة »جيل الثورة«، والتي كانت مجلة دوريّة شهريّة تصدر عن الاتّحاد الوطني لطلبة سوريا، وبعد عام تمامًا تحوّل نهائيًا لكتابة قصيدة النثر.

من خلال قراءة الأسطر التعريفيّة البسيطة السابقة، نلاحظ مباشرةً كميّة المفارقات الهائلة التي حكمت حياته، وكأنّه شاعرٌ وُلِدَ من رحم المفارقة!

فهو ابن الشمال السوري، ووُلِدَ في أقصى جنوبه، وكأنّه ومنذ لحظة ولادته، حَمَل البلاد بأكملها في قلبه وعلى ظهره، بلادٌ ظهرت لاحقًا بكثافة في قصائده، بلغة مليئة بتناقضات تعكس سلسلة مفارقات حكمت حياته بكلّ ما فيها من قسوة وخيبات، كما تعكس النقيض الذي منحته إيّاه هذه البلاد لكلّ ما تمناه وأراده، الذي تلخّص في ثلاثية: الحبّ، والعدالة، والحرية. ففي قصيدة »سورية« الواردة في مجموعته الثالثة، على سبيل المثال، تعلو لغة التناقض في سلسلة صور شعريّة متتالية، تصوّر سوريا على أنّها جميلة لكن تعيسة، تُطعم أبناءها من خيرها وظلمها، يُقابل أبناؤها خيرها بالخير، وفي الوقت نفسه يقابلون قسوتها بالتمسّك بها، كي لا تضيع ويفقدوها:

«يا سورية الجميلة السعيدة
كمدفأة في كانون
يا سورية التعيسة
كعظمة بين أسنان كلب
يا سورية القاسية كمشرط في يد جرّاح
نحن أبناؤك الطيبون
الذين أكلْنا من خبزك وزيتونك وسياطك
أبداً سنعودك إلى الينابيع
أبداً سنجفّف دمَك بأصابعنا الخضراء
ودموعَك بشفاهنا اليابسة
أبداً سنشقّ أمامَك الدروب
ولن نتركَك تضيعين يا سورية
كأغنية في صحراء».

من ناحية ثانية، نجد أنّه ابتدأ رحلته الشعريّة بكتابة القصيدة الموزونة المُقفّاة، لكن لم يرد أيّ منها ضمن أيّة مجموعة شعريّة من مجموعاته الأربع، التي حملت على التوالي العناوين: «خراب الدورة الدموية/1979»، «أساطير يومية/1980»، «بسيط كالماء واضح كالطلقة/1982»، وأخيرًا «وعل في الغابة/1083»، المجموعة التي صدرت بعد رحيله المُبكّر الصادم في 20 نوفمبر/1982.

من ناحية ثالثة، نُشرت قصائده الأولى في مجلة صادرة عن الاتّحاد الوطني لطلبة سوريا، بينما حُرم من استكمال تعليمه بسبب خطأ طبيّ، رسم له رحلة حياة قلقة غزيرة بطاقة الحبّ، وفقيرة بالحظ. فبعدما درس ثلاثة أشهر من الصف السابع الإعدادي، أُصيب بالتهاب في المجاري البولية، تطوّر ليُصبح قصورًا كلويًا حادًا، ما تطلّب إجراء عمل جراحيّ، كانت من آثاره الجانبيّة أنّه فقَد حاسة السمع، والقدرة الطبيعيّة على النطق، لتتوقّف بذلك رحلته الدراسيّة، وليُتابع حياته بكثير من الحرص على إخفائه، تجنّبًا لظهوره بمظهر هَشّ. لكنّ فطرته الشعريّة وحساسيته العالية، غلبتا السواد الذي خيّم على حياته، بسبب مرض وفقر دفعاه للانطواء عن التعامل إلّا مع قلّة من الأصدقاء المُقرّبين، وخلقا بداخله شيئًا من قلّة الثقة بالنفس، على الرغم من محبّته للدنيا وللناس. هاتان المفردتان المُرهفتان اللّتان اختار أن يبدأ بهما مجموعته الشعريّة الأولى، فجاء إهداؤها، الذي أراه واحدًا من أجمل الإهداءات الواردة في مقدّمة الكتب الشعريّة، وأبسطها، وأكثرها عمقًا: »إلى الدنيا والناس«. ثمّ ابتدأ أوّل سطر من أوّل قصيدة، التي حملت اسم »دخان« بقوله: »كئيبًا ومُنفتحًا كالبحر/ أقف لأحدّثكم عن البحر«.

وبذلك قدّم نفسه من خلال عنوان وإهداء وسطر كشاعر، لستَ بحاجة لأن تقرأ له أكثر، لتعرف أو تُقرّر حسب ذائقتك إن كان شاعرًا أم لا. لكنّ بساطته ورهافته الشعريّتين ستدفعانك حتمًا لقراءة المزيد، لشاعر وُصفَ بأنّه: «آخر وَرَثة القصيدة اليوميّة.. وأوّل مُجدّديها». إذ تنأى قصيدته عن الترف البلاغي، وتنتمي بمفرداتها البسيطة، وتفاصيلها الكثيفة، ولغتها الواقعيّة إلى الحياة اليوميّة، لا كما هي عليه فحسب، بل كما يريد لها أن تكون: حياة يسودها الحبّ والعدالة والحريّة. ما يضعنا أمام مفارقة رابعة، فرياض المُرهف، الذي كان الحبّ هاجسه الأوّل والأخير، لم يحظَ بالحبّ على النحو الذي تمنّاه، ومن ناحية ثانية لم تمنحه الحياة العدالة التي أرادها وتحدّث عنها في قصائده، ابتداءً من مرضه، إلى فقدانه السمع، إلى خسارته مرحلة مهمة من طفولته وهي »المدرسة«، إلى الفقر الذي عانى منه طوال حياته القصيرة، إذ غادر عن عمر ثمانية وعشرين عامًا، قبل أن يذوق طعم الحريّة التي تغنّى بها في قصائده. ولتتجلّى في رحيله المفارقة الأشدّ في حياته، إذ كان الخلل الفادح في حياته العاطفيّة، وحاجته المُلحّة إلى الحبّ، هما السبب المباشر الذي عجّل في تضاعف مرضه وسوء حاله، لتكون النتيجة الموت.

بناءً على مجريات حياته التعيسة، غلب شعور الحزن على عوالمه النفسيّة الداخليّة، الأمر الذي انعكس لغةً على قصائده، فكان الموت من أكثر المفردات الحاضرة في قصائده، لكن ليس بوصفه جلَلًا عظيمًا، بل باعتباره أمرًا اعتياديًا، وروتينًا يوميًا يخصّه شخصيًا، وسط بلدان عربية تُعاني القمع والاستبداد والاحتلال بمختلف أشكاله. لذلك كان بطل قصائده غالبًا عاشقًا أو ثائرًا أو مُحاربًا، ما يجمعهم أنّهم لا يعرفون الهزيمة، وخيارهم الموت أو النصر. ففي قصيدة »غرفة محارب« الواردة في مجموعته الأخيرة، رسم مشاهدًا، ما زالت تصلح حتّى يومنا هذا، لتعكس جزءًا من واقع دموي، شهدته بلدان عربية عديدة (فلسطين ولبنان وسوريا والعراق واليمن والسودان)، وطال مدنًا بأكملها، وجرّدها من كامل تفاصيلها اليوميّة (البيوت، الأشجار، كرّاسات الأطفال، ألعابهم وأحلامهم،... إلخ):

«يتوسّدُ خندقه الرملي وحيداً
ويداه تحيطان برشّاش مملوء بالموت
سيأتي الزوار مساءً
زائرة تحمل للأرض قنابل ضوئيّة
أخرى ستُمشّطُ بالنار سهولًا تمتدّ
سيأتي الأعداء مساءً، كقطيع ذئاب كاسرة
يلتهمون بيوت الطين، وأشجار التفاح
وكرّاسات الأطفال ورأس الجندي الجندي الذي يُرتّب غرفته الرملية
الماء هنا.. والطلقات هناك
وها هي صورة نرجسية تبتسم لجندي
يحمل رشّاشاً وخضاراً
الزوار يجيئون.. فأهلًا
يُطلق طلقته الأولى
سيظل يُقاتل حتّى آخر حبّة رمل من هذا الخندق»

ولأنّ لرياض نزعة إنسانيّة عارمة تجاوزت أحوال سوريا البائسة، وتعقّبت مظاهر القهر والاستلاب وتراجع منسوب العدالة في العالم المعاصر ككلّ، فكان من الطبيعي أن تظهر فلسطين المُحتلّة في قصائده. ففي قصيدة »أيّام« الواردة في مجموعته الشعريّة الثالثة، صوّر القضيّة الفلسطينيّة كجزئيّة يوميّة جوهريّة ضمن تفاصيلنا اليوميّة، نشربها صباحًا إلى جانب فنجان القهوة، ونصحبها معنا إلى المدرسة وأماكن العمل، وتبقى مُلازمة لنا في كافة انفعالاتنا النفسيّة، وتكبر معنا ومع وعينا، لتنتقل من فكرة عدالة نؤمن بها، إلى مشروع مقاومة ميداني نخوضه. لذلك سأل رياض والدته في القصيدة عن سلاح جدّه، وفي ذلك رمزيّة عالية إلى أنّ القضيّة الفلسطينيّة تورّث عبر الأجيال. ثُمّ وعدها في نهاية القصيدة، بأنّه سيكون مشروع مقاوم ومحارب على أرض فلسطين:

«ماما...
أما زلت تحتفظين ببارودة جدّي القديمة
بين بيت المؤونة وزريبة الحيوانات؟
أما زلت تُسرّحين شعرَك بأصابعَك النحيلة
وتخبزين لإخوتي فطائر الحكمة؟

□■□

أنا هُنا يا أمّي
أحتسي فلسطين صباحاً مع فنجان القهوة
وأطرد عن جسدها البعوض والأكاذيب
أذهب معها إلى المدرسة
ونقرأ معاً الصحف في المقهى
وحينما أكون حزيناً
تجلس بجانبي وتعدني بأشجار البرتقال

□■□

ماما...
امسحي دموعَك بمنديل الجبل
ونظّفي بارودة جدّي بخرقة الأيّام
فبعد فترة سأعود إليك
وفي حقيبتي زجاجةٌ عطرٍ وقليلٌ من الرصاص».

ولأنّ رياض مولود بالفعل من رحم المفارقات، بحث وسط عالم ممتلئ بالمجازر والحروب ورائحة البارود والطغاة والقَتَلة، عن مكانٍ أكثر أمانًا وأكثر هدوءًا، فوجد هذا العالم الشفيف الرهيف في القُبلة، التي كانت أيضًا من ضمن مفردات معجمه البسيط الخاص المُتكرّر في عوالمه الشعريّة، وكأنّ فيها رمزيّة للاحتجاج السلمي ضد السياسات القمعيّة للسلطة، والاعتقالات الواسعة، والركود الاقتصادي، وسيطرة الرأسماليّة في السبعينيات، إذ يُشير رياض في قصيدته «بعد ثلاثة أيّام» الواردة في مجموعته الشعريّة الثانية، إلى القطب الرأسمالي العالمي المتمثّل برأس الشر أمريكا، التي استفحلت بأطماعها على حساب دم البشر، ويتنقّل بين سطورها بسلسلة من المفارقات، مستخدمًا مفردات تشير لثنائيّتين: الحُبّ والموت، الثورة والقُبلة. وكأنّه يرى بكامل رهافته، أنّ خلاص البشريّة الوحيد من كلّ الشرور، والحروب، والقتل، والرصاص، والموت، يتجسّد في الحُبّ والقُبلة:

«ما الذي سيحدث في هذا الخنجر الواسع
إذا توقّفت أمريكا عن أكل لحوم البشر
لمدّة ثلاثة أيّام؟
وما الذي سيحدث، في قلبي الواسع،
إذا لم أحبّك
بعد ثلاثة أيّام؟

□■□

منذ القبلة الأولى على رقبتك الطويلة،
وحتّى الحرب العالميّة الثالثة التي لم تأت بعد،
كنت أوزّع الحبّ على النازحين،
وهم يوزّعون بطاقات الإعاشة!
كنت أوزّع الحبّ على السجناء،
وهم يوزّعون الصدمات الكهربائيّة!
كنت أوزّع المصانع في الصحاري،
وهم يرصدون سجناً لكلّ مصنع!
منذ انبثاق النار من احتكاك حجرين
وحتّى اختراع القنابل العنقوديّة،
كنت أوزّع الحبّ في القلوب
كما يوزّعون الرصاص!».■

المرجع: رياض الصالح الحسين الأعمال الكاملة

*كاتبة ومترجمة

الشاعر والمهنة... وقفة وتأمل

لندن: د. حسين رشيد الطائي*

عَرَّفَ الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه الفريد (كتاب العين) المهنةَ على أنها (المهارة والحذق في العمل ونحوه). وقد ورد قديما (أن مهنة الشخص عمله).كما اتفقت كلمة معاجم العربية على أن مِهْنَةٌ ومَهْنَةٌ ومَهَنَةٌ ومَهَنَة هي الحِذْقُ بالخِدْمَةِ والعَمَل. وقد تأتي بمعنى الخِدمة كقولهم مَهَنَهُ مَهْناً ومَهْنَةً ومِهْنَة أي خَدَمَهُ. ومَهَنَ الإبلَ حَلَبَها عند الصَّدْر، ومَهَنَ الثَّوْبَ جَذَبَهُ. وتُجمع على مِهْنات ومِهَن. ويقال امتهن أي اتخذ مِهنة؛ ومنه وصف (مِهَنِيّ). إلا ان الأصل في الحِرَفي أنه امتهن مهنة فمارسها حتى أبدع فيها وأصبح خبيرا بها؛ على ان الحرفة في اللغة هي الفعل المتكرر بنوع العمل فيقال (حرْفَتُه أن يفعل كذا): دَأْبُه ودَيْدَنُه. وعلى هذا فالحرفة أخص من المهنة.

على ان القرآن في معرض حديثه عن المهن استعمل لفظ (الصنعة) كما في قوله تعالى (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)؛ وهي تدل على الكمال والاتقان، كما في قوله تعالى (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ).

ومن هنا فان المهنة أساسها العمل؛ فمن دأب في عمل فهو (مهنيّ) وإذا تخصص فيه أصبح حرفياً. أما إذا اتقنه فهو صانع.

وقد زخرت كتب التاريخ والتراث بأخبار الكثير من الشعراء المهنيين. مثل أبي الحسين الجزار الذي كان يعمل بالجزارة كأبيه. وابن أبي الربيع الخياط. ويكاد يكون أشهر الشعراء الحرفيين السراج الوراق؛ الذي كان شاعر مصر في زمانه. قال أبياتاً يصف فيها حرفته:

خجلتي وصحائفي سُوداً غَدَت
وصحائفُ الأبرار في إشراقِ
وموبّخ لي في القيامة قائلٌ
أكذا تكونُ صحائفُ الورّاقِ

ومنهم أيضا عين بصل إبراهيم بن علي بن خليل الحرّاني. كان حائكاً. وكذلك محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي الحكيم وله أبيات مشهورة في صنعته قال فيها:

يا سائلي عن حرفتي في الورى
وضيعتي فيهم وإفلاسي
ما حال من درهم إنفاقه
يأخذه من أعين الناس

ومن الطبيعي أن يتأثر الشعراء بمهنهم كما أن المهنة قد تؤثر فيهم. فنلحظ عند قراءتنا لقصائدهم وأشعارهم ألفاظا أو تراكيب أو صورا تؤكد ذلك.من ذلك ما قاله الشاعر النجار:

ولا بد لي من نجركم بعد كسركم
فقد تلفت روحي ودبت من الفزع
وأقطع فيكم ثم أنشر ذكركم
فبابكمو في الحب عندي قد انخلع

ولذا فهناك من تأثر بالمهنة وهناك أيضا من أثرت المهنة فيه؛ لكن السؤال الذي يطرح عادة هو مشروعية اتخاذ الشعر مهنة يتكسب منها!؟

نعم قرأنا ونقرأ في كتب التاريخ الكثير من الشعراء على مر العصور قد امتهنوا الشعر للتكسب؛ ليس هذا فقط بل أصبح مطية لدى البعض لبلوغ المآرب سواء المادية أو السياسية أو الاجتماعية أو غيرها. إلّا أنّ توظيف الشعر ـ هذه الأداة الفنية المذهلة التي تستعمل المشاعر والأحاسيس فتثيرها صورا غاية في الجمال ـ في هذه الغايات إنما يقوّض المبادئ الأساسية التي قام عليها الشعر.

نعم (أعذب الشعر أكذبه) كما يقال؛ لكن ذلك إنما يكون في تكوين الصورة الشعرية وخلق التراكيب البلاغية والفنية وليس من باب الكذب في المشاعر والأحاسيس. فالشعر في حقيقته أعظم الفنون الإنسانية التي تتعامل مع الروح والمشاعر ولا ينبغي تعريضه لعوامل المادة الخارجية لكي يبقى سامياً كما بدأ.

ومن يقرأ الفترة التاريخية التي اتخذ فيها البعضُ الشعرَ وسيلةً للتكسب وقد سمي آنذاك بشعر الكدية أو الاستجداء ستجده على الدوام في خانة التقريع والنقد اللاذع. لذلك لا بد من صون الشعر من هكذا أمور والارتفاع به لسمو الملائكية أو (الجنيّة) التي عُرف بها منذ تم ابتكاره.

ومن المهم تبيينه أن هناك من عارض التكسب في الشعر ورأى فيه منقصة للشاعر لا للشعر. ووصف الشعر المتكسب فيه بالنفاق.

ومن الصور على نقد التكسب في الشعر بل ومحاولة صده والوقوف بوجهه. ما روي عن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حينما أفضت إليه الخلافة؛ إذ وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله، فأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن أرطأة عليه وكان منه بمكانة؛ فتعرض له جرير وقال :

يا أيُّها الرَجُلُ المُرخي عمامتَهُ
هَذا زَمانُكَ إنّي قد مَضى زَمَني
أبلِغ خَليفَتَنا إن كُنتَ لاقيَهُ
أنّي لَدى البابِ كَالمَصفودِ في قَرَنِ
لا تنسَ حاجَتَنا لاقيتَ مَغفِرَةً
قَد طالَ مُكثي عَنَ أَهلي وَعَن وَطَني

فقال نعم يا أبا عبد الله. فلما دخل على عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وألسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة،

فقال عمر: مالي وللشعراء ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن رسول الله مُدح فأعطى، وفيه أسوة لكل مسلم. قال: صدقت ، فمن بالباب منهم؟ قال: ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي؛ قال : لا قرّب الله قرابته ولا حيا وجهه. أليس هو القائل :

فَيا لَيتَ أَنّي حَيثُ تَدنو مَنِيَّتي
شَمَمتُ الَّذي ما بَينَ عَينَيكَ وَالفَمِ
وَلَيتَ طَهوري كانَ ريقَكِ كُلَّهُ
وَلَيتَ حَنوطي مِن مُشاشكِ وَالدَمِ
وَلَيتَ سُلَيمى فَي المَماتَ ضَجيعَتي
هُنالِكَ أَم في جَنَّةٍ أَم جَهَنَّمِ

فليته عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا. والله لا يدخل عليَّ أبدا. فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟ قال: جميل بن معمر العذري. قال: أليس هو القائل :

أَلا لَيتَنا نَحيا جَميعاً وَإِن نَمُت
يُجاوِرُ في المَوتى ضَريحي ضَريحُها
فَما أَنا في طولِ الحَياةِ براغِبٍ
إِذا قيلَ قَد سوِّيَ عَلَيها صَفيحُها
أَظَلُّ نَهاري مُستَهاماً وَيَلتَقي
مَعَ اللَيلِ روحي في المَنامِ وروحُها

والله لا يدخل علي أبدا. فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟ قال كثير عزة: قال أليس هو القائل :

رُهبانُ مَدينَ وَالذينَ عهِدتُهُم
يبكون من حذر العقابِ قُعودا
لو يسمعون كما سَمعتُ كلامَها
خَرُّوا لعزةَ رُكَّعاً وسجودا

أبعده الله فوالله لا يدخل علي أبدا

.

الى ان وصل الأمر الى جرير. قال أليس هو القائل :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الفُؤادِ وَلَيس ذا
وَقْتَ الزِّيَارَةِ فارْجِعي بِسَلامِ
فإن كان ولا بد فهذا فأذن له .

قال عدي بن أرطأة: فخرجت فقلت: أدخل يا جرير، فدخل وهو يقول :

إِنَّ الَّذي بَعَثَ النَبِيَّ مُحَمَّداً
جَعَلَ الخِلافَةَ في الإِمامِ العادِلِ
وَلَقَد نَفَعتَ بِما مَنَعتَ تَحَرُّجاً
مَكسَ العُشورِ عَلى جُسورِ الساحِلِ
قَد نالَ عَدلُكَ مَن أَقامَ بِأَرضِنا
فَإِلَيكَ حاجَةُ كُلِّ وَفدٍ راحِلِ
إِنّي لَأَمُلُ مِنكَ خَيراً عاجِلاً
وَالنَفسُ مولَعَةٌ بِحُبِّ العاجِلِ
وَاللَهُ أَنزَلَ في الكِتابِ فَريضَةً
لِابنِ السَبيلِ وَلِلفَقيرِ العائِلِ
فَلَما مثل بين يديه قال: يَا جرير، اتق الله ولا تقل إلا حقا، فأنشأ يقول :

كم باليمامة من شعثاءَ أرملةٍ
ومن يتيمٍ ضَعيفِ الصوتِ والنظرِ
ممن يعدلك يكفيَ فَقْدَ والدِه
كالفرخِ في العشِ لم يدرجْ ولم يطِرِ
أأذكرُ الجهدَ والبلوى التي نزلَتْ
أم قد كفاني ما بلَّغْتَ من خبري
إنّا لنرجو إذا ما الغيثُ أخلفَنَا
من الخليفة ما نرجو من المطرِ
إن الخلافةَ جاءته على قدرٍ
كما أتى ربَّه موسى على قدرِ

فدفع اليه عشرة دنانير. فقال: والله يا أمير المؤمنين أنها لأحب مال اكتسبته. ثم خرج فقال له الشعراء: ما وراءك يا جرير. فقال: ورائي ما يسوءكم؛ خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء ، وإنني عنه لراض.

من أجل ذلك أقول ان المهنة شيء والشعر شيء آخر؛ ولا يمكن الخلط بينهما. لكن للأسف أصبح ديدن معظم الشعراء الخلط بين الأمرين وأصبح همهم الوحيد الوصول الى مبتغاهم المادي لا الفني أو الإبداعي.

ومن الصور التي تبيّن تأثير المهنة على الشاعر وتأثره بها، ما جاء عن ابن الجزار الذي ورث الصنعةَ عن أبيه في قوله:

حسبي حرّافا بحرفتي حسبي
أصبحت منها معذّب القلب
موسّخ الثوب والصحيفة من
مطولِ اكتسابي ذنباً بلا كَسب
أعملَ في اللحم للعشاء ولا
أنال منه العشاء فما ذنبي

بل انه في نادرة قل نظيرها يعارض معلقة امرئ القيس بكثير من الطرافة والظرف حين يشكو ضيق أحواله وكفافه فيقول:

قِفا تبكِ من ذكرى قميصي وسروَال
ودرّاعة لي قد جفا غُصنُها البَالي
ولا سيما والبردُ وافى بريدُهُ
وحالي على ما اعتدت في حالة حَالي
تُرى هل يَراني النأسُ في فَرَّجية
أجرُّبُها تيهاً على الناسِ أذيالي
ويُمسي عذولي غيرَ خالٍ من الأسى
إذا باتَ من أمثالها بيته خالي
ولو أنني أسعى لتفصيلِ جبةٍ
كفاني ولم أطلُب قليلاً من المالِ
ولكنني أسعى إلى نحو جبةٍ
وقد يبلُغُ المجدَ المؤثّلَ أمثالي
وكم ليلةٍ استغفر اللهَ بتُّها
بخدٍ وريقٍ بين وردٍ وجريالِ
تبطنت فيها بدر تمٍ مشنّفٍ
ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخالِ
وما أنا ممن يبكي لأسماء إنْ نأت
ولكنّني أبكي على فقد أسمالي
ولو أنّ امرأ القيس بين حَجرٍ رأى
ما
أكابده من فرط هَمٍّ وبلبَالِ
لما مالَ نحو الخِدرِ خِدرِ عُنيزةٍ
ولا باتَ عن حسنِها سَالي

ومن أبدع شعراء المطبخ والطبخ موسى بن عبد الله الدهمراوي الذي أفرغ مصوغاته الثمينة ومكنونات خزائنه الدفينة من الألفاظ والتراكيب والمعاني في وصفات الطعام؛ من ذلك قوله في وصفة طعام:

وباكر إلى لحم سمين وجرة
إلى أن يصير اللحم والدهن كالسلا
وخذ ورقَ النعناع واترك عروقَه
واخلط عليها الآن إن شئت فلفلا
واجعل على هذه الحوائج قرفةً
بها زرّوردٌ يا أخي وقرنفلا
وخذ زنجبيلا واسحق الكل خلطةً
واخلط على اللحم السمين معوّلا
وخذ من رقاق البيت واحشو بلحمه
وسوِّيه بالدخان إن رمتَ تأكلا

جدير بالذكر أن العرب قبل الاسلام لم تكن تسمي الحرف المتعارف عليها اليوم بأسمائها هذه. فلقد ورد عنهم انهم لم يسموا النجار نجارا بل (قينا) قال زهير با أبي سلمى:

خَرَجْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ
على كلِ قَيْنِيٍّ قَشِيبٍ ومُفْأَمِ

بل قد يسمونه (الاسكاف) والنهامي. وقد يطلق الأخير على الحداد وعلى الراهب أيضاً.

ومن نادر ولطيف الشعر ما نقل عن ابراهيم طوقان يرد على أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته التي يمدح فيها المعلم قائلا:

قف للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا
فرد طوقان قائلا:
شوقي يقول وما درى بمصيبتي
قم للمعلم وفّه التبجيلا
اقعد فديتك هل يكون مبجلاً
من كان للنشء الصغار خليلا
ويكاد يقلقني الأمير بقوله
كاد المعلم أن يكون رسولا
لو جرّب التعليم شوقي ساعة
لقضى الحياة شقاوة وخمولا
حسب المعلم غمّة وكآبة
مرأى الدفاتر بكرة وأصيلا
الى ان يقول:
يا من يريد الانتحار وجدته
إنّ المعلم لا يعيش طويلا

ومهما يكن فان الحرفة وأن كان لها تأثيرها المباشر على الشاعر من حيث الغرض والموضوع والمضمون إلا ان موضوعها في الشعر يبقى في إطاره المحدود لا يتعداه. فيما تبقى الموضوعات الشعرية الأساسية هي السائدة. فموضوعات الغزل والمدح والفخر والهجاء وغيرها التي يشتمل عليها الشعر العربي ما زالت هي المتصدرة.

ومن المهم أن نذكر ان التكسب من وراء الفنون الأدبية كالشعر والرواية والخطابة والكتابة وغيرها أصبح من الأشياء المألوفة التي لا يعاب عليها الأديب والشاعر. وعلى الرغم من استقامة هذا الأمر في المجتمع وعدم النظر اليه نظرة موضوعية. إلا انه في الحقيقة ينبئ عن فساد القواعد المجتمعية والعلمية والمعرفية والأصولية التي كانت تراعي كل الفنون وفق قواعدها وأصولها وتحترمها كلها بضوابطها وأطرها.

والحقيقة التي يجب أن نعترف بها هي ان المجتمع الذي انبثقت فيه أعظم الفنون والآداب مثل الشعر والنثر والخطابة منذ القديم هو غير المجتمع الذي نعيشه الآن؛ وبالتالي تتغير القاعدة العرفية والمجتمعية من عصر الى عصر وفق متطلبات كل عصر. وبالتالي فما هو منبوذ في عصر قد يصبح ممدوحا في عصر آخر والعكس صحيح. وهذه من السنن التاريخية التي عرفتها البشرية. ■

*أستاذ جامعي، باحث وأديب

لبنان ـ نسرين الرجب*

في فيلم يحكي قصة حياتها Montessori Maria La nouvellefemme تحمل ماريا منتسوري طفلها وهي تهدهده، مرتدية السواد فيما يشبه أنّها تودّعه، ونراها في مشهد لاحق في عربة يجرّها خيل مبتعدة، وفي مشهد تتوسط أطفال من ذوي الهمم، توجّه وتُشرف على مجموعة من المعلّمات وهنّ يقمن بأنشطة مع الأطفال، رفقة رجل يتبيّن لنا لاحقًا أنّه حبيبها ووالد طفلها من علاقة لم تكلّل بالزواج، ونفهم من خلال سياق الأحداث أنّ ذلك يعود لخوف ماريا من أن يتملكها زوجها ويُنهي طموحها، كطبيبة ونفسانيّة، وهو ما يتراءى لنا عندما نرى أن هذا الرجل يحلّ في الواجهة في التعريف عن مشروعهما المُشترك في رعاية وتربية وصقل مهارات هؤلاء الأطفال في زمن كان يُنكر على النساء نجاحاتهن، ونرى أنّ هذه المرأة الطموحة والقويّة هي كائن ضعيف عاطفيًا ويعمل من دون أجر، وأنّ من سيساعدها على الخروج من هذا الدور وإطلاق نفسها للعالم هي مغنيّة وعازفة فرنسيّة قصدتها لكي تضع ابنتها في مؤسستها ومع الوقت تتغير وجهة نظر المغنيّة حول ابنتها التي تعاني نوعًا من التأخر العقلي بفضل توجيهات ماريا.

خارج حدود الرجل تُعلن نفسها أنها هي صاحبة المشروع وصاحبة الفكرة، وتبدأ محاضرة في جامعة روما، وفي مشهد يقرّر الحبيب التخلي عنها والزواج من أخرى لأنّه بات يراها منافسةً له، يخيّرها بين أن تأخذ ابنهما «ماريو» وتكون أمًا عازبة، وبين أن يأخذه ولا تراه بعدها أبدًا.. وهكذا ينتهي الحب بخيبة ونفهم المشهد الأوّل أن ماريا اختارت الحريّة على العبودية ولو تحت إطار الزواج، وتركت طفلها مرغمة لتساعد أطفالًا كثُر، وتُرسي فلسفةً جديدة في التعليم يصل صداها إلى كلّ العالم.

وُلدت في إيطاليا (1870 ـ 1952) وتوفيت في هولندا، كان والدها اليساندرو مونتيسوري، يعمل كمسؤول في وزارة الماليّة في مصنع التبغ المحلي الذي تُديره الدولة، وكانت والدتها متعلّمة ومن أسرة نبغ فيها علماء.

دفعها تشجيع عائلتها لمواصلة طموحها العلمي، درست الطبّ في جامعة سابينزا في روما، تعرّضت للكثير من المضايقات أثناء دراستها في الجامعة كونها المرأة الوحيدة بين جمع من الطلبة الذكور، عقب تخرجها عملت مساعدة طبيب في عيادة الطبّ النفسي في مستشفى الجامعة، وكان من ضمن مهامها زيارة المصحّات ومراقبة الأطفال المعوّقين.

نتيجة اهتمامها بالفلسفة وعلوم التربيّة، درست أعمال جان إيتارد وإدوارد سيجوا. اللذان اشتُهرا بأعمالهما عن الأطفال المعوّقين، وكذلك تأثرت بفلسفة جون جاك روسو الفرنسي الذي نادى بعودة الطفل إلى أحضان الطبيعة وناصرت فكرة تربيّة الطفل بحسب ميوله من خلال أنشطة تُنمّي حواسه وجميع النواحي الروحيّة والفكريّة والحركيّة فيه وتنميّة إمكاناته داخل مؤسسة مُتخصّصة وبمواصفات محدّدة.

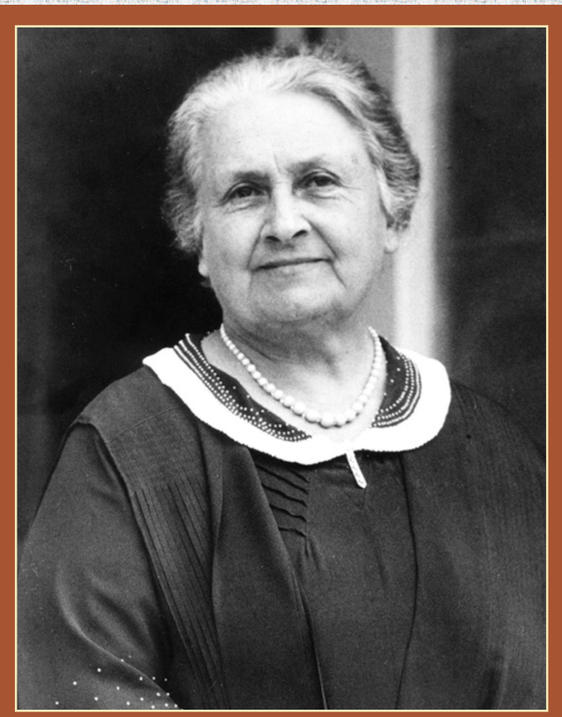

ماريا منتسوري.. المرأة التي غيّرت مسار التعليم

وكذلك تأثرت بفلسفة فريدريك فروبل العالم الألماني، والذي ركّز على السنوات السبع الأولى من حياة الطفل وهو المؤسس الفعليّ لرياض الأطفال، ومنه طوّرت منتسوري فكرة بيوت الأطفال.

عملت في التدريس في جامعة روما، فاهتمّت بالأنثربولوجيا وطرائق التعليم. أسست منهجًا تربويًا وتعليميًا خاصًا بتعليم الأطفال المعوّقين وطوّرته لاحقًا ليشمل الأطفال الأصحاء.

منهج منتسوري

أسّست ماريا منتسوري نظريّة متفرّدة عُرفت بـ«طريقة منتسوري». في مشهد من الفيلم، وبعد الوعكة العاطفيّة التي تعرضت لها، يقول لها والدها في إشارة إلى حملها اسم العائلة: «إنّه اسمك أيضًا وستجعلينه مشهورًا»، وكانت انطلاقتها في تأسيس بيت للأطفال على قاعدة «طريقة منتسوري».

وهو «نظام تعليمي مُتكامل له فلسفة خاصة به، يؤمن بأنّ الطفل يتعلّم أفضل في بيئة اجتماعيّة تدعم وتغذي أنماط التطوّر الخاصة بكلّ طفل..»، ركّزت منتسوري في فلسفتها التعليميّة على التغذية المناسبة والنظافة والسلوك والتدريب الحسيّ بحيث يعمل الأطفال بالتجهيزات التي صممتها. وأهم ركيزة في منهجها هي «أن يتعلّم الأطفال كيف يتعلمون».

من خلال عملها في رعاية الأطفال ذوي الإعاقة وتحقيقها النجاح في تطوير مهاراتهم التعليميّة، اكتشفت الأسباب التي تُعيق تعليم الأطفال العاديين وما وراء ضعفهم الأكاديمي. وتوصلت إلى أنّ الطرق التي استخدمت مع الأطفال المعوّقين لو استخدمت مع العاديين لحققت نجاحًا مبهرًا. أسست تجربتها على دراستها الطبيّة وتأثرها بالتربويين. وآمنت بفلسفة التربيّة الذاتيّة للطفل أي أنّ الطفل يقوم بنفسه بالعمل حسب قدرته وميوله ولذلك عملت على اختراع الطرق التي تساعد على التعلّم، مؤكدةً أنّ الطرق التقليديّة هي السبب في ظهور التأخر الدراسي.

التعلّم بالملاحظة واللعب

رأت منتسوري في نظريّتها أنّ دور المعلمة يقوم على مبدأ ملاحظة الأطفال أثناء اللعب، بهدف التعرّف على إمكانياتهم ويقتصر دورها على الإرشاد والتوجيه.

ومنح الطفل حريّة الاختيار والحركة أثناء اكتسابه الخبُرات، والعمل على تهيئة الظروف بحيث لا يكون هناك عائق بين الطفل وخبرته في مزيج بين العقلانيّة والعمليّة. وتهيئة البيئة الصفيّة بما يلائم الظروف للتحكّم فيما يتعلّمه الطفل.

فالمعلّمة تؤدي دور القائد، ومهمتها تزويد الطفل بمعلومات حول النقاط الأساسيّة لتمكينه من معرفة ما يجب عمله.

وضعت مخططًا تعليميًا للمراحل العمريّة من الطفولة حتى المراهقة المتأخرة، تتلخّص أهم أهداف التربية في فصول المنتسوري على تنمية المعرفة الذاتية، الثقة بالنفس والاعتماد عليها، الانسجام مع البيئة والنمو العضلي والفطري، تنمية الشعور بالمسؤولية، تنمية الطفل لثقافة مجتمعه وحضارته وعاداته، وتنمية روح المساعدة والتعاون.

وتدريبه على تمارين الحياة العمليّة كالعناية بالجسم والملابس، الآداب الاجتماعية، العناية بالبيئة حوله، تحضير الوجبات، العناية بالخارج، و توازن الحركات.

بيوت الأطفال

«بينما كان الناس في منتهى الدهشة والعجب بنجاح تلاميذي المعوّقين كنت في منتهى الدهشة والعجب لبقاء العاديين من الأطفال في ذلك المستوى الضعيف من التعليم، لذلك فإن الطرق التي نجحت مع المعوّقين لو استعملت مع الأطفال العاديين لنجحت نجاحًا باهرًا لهذا صممت أن أبحث الأمر وأدرسه من جميع الوجوه».

وُلدت بيوت الأطفال العام 1907 تميّزت فصول الدراسة بالحجرات الواسعة المزيّنة جدرانها بألوان زاهيّة، والصور التي تُحاكي حياة الأطفال. اهتمت بكلّ تفصيل داخل الفصل، من الأثاث الذي يتناسب مع حجم الطفل ويسهّل حركته وتخصيص حجرة للطعام وأخرى للأشغال اليدويّة، وأولت اهتمامًا بالغًا للتنظيم الذي يؤسّس لفصل هادئ يدعم التركيز، ففي الفصل أركان مختلفة ومع التمارين المتكرّرة وفهم تسلسلها والهدف منها تتأمن متطلبات الإدارة الجيّدة.

كذلك اهتمت بالمدّة التي يقضيها الطفل داخل المدرسة وتقوم على التحاقهم المبكر صباحًا حوالي الساعة الثامنة وحتى ما بعد منتصف النهار، واهتمت أن يرتدي الطفل مريلته أثناء الدوام. وحدّدت دور المعلمة ـ كما أشرنا ـ في الإرشاد والتوجيه، والتشجيع والتعزيز وتركه ليعلّم نفسه ويُصحّح أخطاءه بنفسه.

وتقوم الأنشطة داخل الفصل على تدريب حواس الطفل بتمارين عقليّة لاستثارة قدرات التفكير لديهم كذلك أداء ألعاب رياضيّة المشي في الهواء الطلق والرقص. وتعزيز المهارات الاجتماعيّة، احترام حقوق الآخرين وقيم التعاطف والتعاون واللعب الموجّه.

لاقت بيوت الأطفال نجاحًا باهرًا وانتشرت فصولها في أنحاء البلاد، واستبدلت العديد من الدول طرقها القديمة بالتعليم بطريقة مونتيسوري.

الحرية لا تعني الفوضى

انطلقت منتسوري في فلسفتها من أنّ الطفل لديه الفضول والميل للمعرفة لذلك عملت على تأمين أدوات المعرفة الملائمة لاحتياجات الطفل. وتخصيص الركن الحسّي لتنميّة وصقل حواس الطفل. وأعطت للطفل حرية الاختيار التي يتكشّف من خلالها اهتمامات الطفل الشخصيّة، فالطفل عندها يتعلّم ذاتيًا من خلال الاحتكاك والتفاعل الحسّي مع البيئة، والتكرار حتى الإتقان هو وسيلة من وسائل التعليم.

وضعت منتسوري مجموعة من الحدود التي على الطفل الالتزام بها، وهي تقوم على مبدأ تعزيز الاعتماديّة على الذات من دون فوضى، فالطفل الحرّ عند منتسوري هو الذي يعتمد على نفسه ولا يلجأ للمعونة ما دام قادرًا على أداء عمله بنفسه. وأكّدت على ضرورة أن تكون المعلّمة حازمة في إقامة الحدود ولا تتساهل مع تخريب النظام في الفصل. فهذه الحدود يجب أن تكون واضحة ويتم التدرّج في إعطائها للطفل. وفي حال أخطأ الطفل تعتمد المعلمة آلية المحاسبة على حدة، من خلال سؤاله «ماذا حدث» والاستماع لسرده ممّا يُمكّنه من اكتشاف خطائه بنفسه ويكون هنا التركيز على السلوك الخاطئ.

أمّا الطفل الذي يتجاوز الحدود باستمرار، فعقابه يكون بعزله من خلال الجلوس بعيدًا عن الأطفال الآخرين، وتوقيفه عن المشاركة في نشاطاتهم والاكتفاء بمشاهدتهم. وتجنّب الكلام معه لأنه لن يكون مستمعًا. وفي منحى آخر رأت أنّ الطفل الذي لا يرتدع ويستمر في تجاوزاته، هو طفل مريض يجب عزله عن باقي الأطفال ويحتاج إلى رعاية خاصة مرفقة بالعطف.

ثم تُشير إلى المشاكل الجسديّة التي تؤثر في سلوك الطفل وتُعيق تعلّمه، كمشاكل السمع والنظر والكلام والمشاكل المرضيّة كحساسية الطعام أو مرض السكري أو أمراض الغدّة، من هنا ضرورة لفت انتباه الأهل للعلاج عند مختص.

ترشّحت منتسوري خلال حياتها ثلاث مرات لجائزة نوبل للسلام، وكان لها العديد من الإنجازات التي أسّست لنجاحها وانتشارها في العالم.

طالبت في مؤتمر طبيّ في مدينة تورينو ببناء مؤسسات للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة وإعطاء دورات تدريبيّة للمعلمين. افتتحت معهدًا دوليًا يُدرّس ويُعرّف المعلمين على الطرق الملائمة لتعلّم الأطفال المعوّقين. عُيّنت مستشارة للرابطة الوطنية لحماية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

سافرت إلى عدّة دول لنشر فلسفتها في العالم، كتبت العديد من المؤلّفات التي رسخّت فكرها وفلسفتها التربويّة، وتُرجمت إلى لغات العالم ومنها العربيّة: (من الطفولة إلى المراهقة، المرشد في تعليم الصغار، التربية من أجل عالم جديد، الطفل في الأسرة، سر الطفولة، طريقة منتسوري المتقدمة. اكتشاف الطفل، القوّة الإنسانية الكامنة، العقل المستوعب، التعلم من أجل السلام.)

حقّقت مدارسها نجاحًا باهرًا وجذبت انتباه الكثير من الشخصيّات البارزة، استمر عملها في تطوير علم أصول التدريس.

ومنذ العام 1909 بدأت دول مثل إيطاليا وسويسرا والمملكة المتحدة وباريس وكوريا والمكسيك وكثير من الدول بتأسيس مدارس وفق منهج المنتسوري، وتأسست جمعيات المنتسوري في عدة دول من العالم. نُشر كتابها «طريقة مونتيسوري: علم أصول التدريس» في الولايات المتحدة باعتباره تطبيقًا لتعليم الطفل في بيوت الأطفال وصدرت عنه عدّة ترجمات.

أسست وابنها ماريو جمعية مونتيسوري الدولية العام 1929 في الدانمارك، وتقوم مهامها بالإشراف على أنشطة المدارس والجمعيات والتي تنشر باسم منتيسوري. بعد انتقالها إلى هولندا ازدهرت برامجها هناك، وفي عام 1935 انتقل مقر جمعية مونتيسوري الدوليّة إلى أمستردام.

غيّرت ماريا منتيسوري مسار التعليم، وحوّلته من التلقين حتى التعلّم الذاتي، واستفادت من طرائقها المعلّمات وحتى الأمّهات على سواء، فبتنا نتحدث عن التعليم المنزلي، وتحت عناوين مختلفة وُضعت برامج تدريبيّة ودبلومات تستهدف المهتمين بتطوير خُبراتهم التربويّة.

«علينا أن نضبط اهتمامنا بالطفل، لن يكون هذا بالرغبة في جعله يتعلم الأشياء، بل بالسعي المتواصل لإبقاء ذلك الضوء متّقدًا داخله، ذلك الضوء الذي يُدعى الذكاء».■

*كاتبة وصحافية

«قبل الموت ما بعد الحياة»...

مدونة غابي جمال بين لبنان واليابان

بيروت ـ عبيدو باشا*

لا تنظف الحياة بورق الصحف عند غابي الجمال. لا يعتبرها نفاية بلاستيكية. لذا لن يذوب في جدران المدن . مدن كثيرة سعى بنشاط من أجل وحدتها، بعد أن فهم الطبيعة الحقة للحياة . حياة لا يحيا خارجها ، بعد أن رفع غطاءها كما لو أنها صندوق مصنوع من كثير من الرذاذ لا من إنهمار المطر. تتسع بوصات من دون ازعاج إلا لمن ضمن لنفسه أن يزعج نفسه بإدارة الظهر للكليشيهات. لا حسن حظ. برقٌ ورعد . ذلك أن لا مأوى لأن المأوي مأوي عند الجمال . مأوي لا تدوم وهي تغرق الآوي في الملاذات الطاغية. هكذا، لاحت المساحات مقفرة تقريباً . أو أنها بدت شديدة النحول ، ما دفع غابي الجمال إلى الإستعانة بالإحتياطي من الحياة ، حتى يدفعها قدماً إلى نوع من الإمتلاء . لا ألعاب . الإنطلاق قدماً بكلام صاروخي ، بهدف دفع الكرة إلى منتصف الملعب .البداية من منتصف الملعب . أية مفارقة. ثم ، من النصف إلى الأرجاء بدون خوف من التعرض للإصابات . الأخيرة مخرج من مخارج من الأزمات إلى الإنفراجات . هكذا وهكذا، وصولاً إلى نهاية يستعجلها المؤلف في فصل من فصول المؤلف الأخير ، حيث يسمى وهو مفتح العينين على آخر الفتحات ، على آخر البرد والمرض .

إنها نهاية سوف تتحلل لأنها من صنع الخيال . إغلاق العينين ، فتح العينين . وتعا تعا تفرج يا سلام . الفرجة أحلى من الكلام. فرجة في كلام. هذه واحدة من ميزات «قبل الموت ما بعد الحياة» (دار الفارابي). فرجة حتى الموت. فرجة غارقة ما بوسع المؤلف. فرجة حتى النهاية. نهاية افتراض. أو افتراض نهاية. الراوي رجل، يرى في الحياة شطائر هشة. سماء تتشح بالألوان القاتمة ما دام الرجل يعرف أن المهجر يسقط في الغربة والإغتراب من دون أن يعرف كيف يمسك نفسه بعد أن منح نفسه للحياة.

الراوي يرى في الحياة فنجان قهوة إكسبريسو ، مجلة مفتوحة بفعل الريح، سحب ترسم عقدها وهي تحلق من مجال إلى مجال . ثمة بياض مفاجئ تتقاذفه الريح . كلام شديد. لا شديد السوء. كلام شديد، يتقدم بلا تراجع . كلام الراوي كلام الأب في نهاية الكلام. كلام يدور تحت أقمار ما قبل الموت ، ما بعد الحياة . لا احاديث ، لا ذكريات ، لا تحادث مع الأم ولا الزوجة. الكلام على العمات لأنهنّ أخوات الوالد. ذكورية تمضي على ارتفاع عال للغاية . خلق التخلي عن هذه الهواية رابطة من روابط العلاقة بالأب. علاقة كاسحة . غياب الأب في بلاد بعيدة وجود مضاعف في تركيبات المؤلف. المؤلف ذو تركيبات لا تركيبة واحدة. تركيبات على مقاعد الحياة الدوارة. العلاقة موائد عديدة بين غابي وعيسى. ابو العيس في المؤلف . المؤلف لا الرواية . هجرة الأب طبعة جديدة من طبعات الإغتراب. الإغتراب عن فلسطين، حيفا. الإغتراب عن بيروت. الإغتراب عن النفس . ليمت أوديب في غيظه . ليمت فرويد في غيظه. ليمت الإثنان. لأن غابي لم يسع إلى قتل الأب . لن يسع إلى فقأ عينيه لأنه، لا يزال يرى. لأنه لم يفقأ عينيه. كلام قليل على الوالدة. كلام قليل على الزوجة اليابانية إنها فتاة حزيران. لن تقبع الأم في سلبية .لن تقبع الزوجة في سلبية. ولكن الواحدة منقوشة كالوشم في مملكة خاصة. مؤلف لا رواية. مؤلف، رواية أعوام طويلة. الهجرة أولاً . ثم ، التهجير.

سوف يسد الأخير العجز في حياة من هجروا من أرضهم، ليهجروا من أرض هجروها بعد أن هُجِّروا اليها. لا رواية. ثمة راو . ثمة مدونة. إذن، ثمة مدون. مدون يترهل إذا لم يغضب. لن ينسيه الغضب أنه غاضب. وأن ثمة أسباباً للغضب . شراء كراسة جديدة من أجل التدوين من مقصيات الحال. تدوين ملاحظات وخواطر واسئلة في نوع من كلام دافع لا يقاوم . كلام كجري النهر . لا يتوقف النهر لأنه لا يسمع لأحد، لا يسمع سوى لمائه . هذه حال غابي الجمال . ينزع مونولوغه من أسفل الرأس إلى أعلاه . مونولوغ غاضب . الغضب سمة المدونة والمدون. شعر لأسباب واضحة أن عليه أن ينتزعها من موضعها . أن يعقدها على يديه لكي لا يظهر لاعباً ضائعاً كلاعب كرة القدم ، من دربهم والده في بيروت. مدونة أولاً. كتلة نصوص وراء كتلة. كتل على محتوى. المحتوى موجود. الإغتراب والغربة. كتلة نصوص تعبر مراحل زمنية متعاقبة على لغة عربية تتعلق بوضع الأشخاص والأشياء في الأماكن الصحيحة. نصوص من ارتباطات ومرفقات. وسيلة تنشأ لمشاركة المعلومات . المدونة من اللسانيات . لسان من اللسانيات . لذا ، إن الكلام على مدونة لا رواية ، لا ينقص من قواها قوى الشحن ، قوى الإرسال قوى الطبع قوى من يستهل ومن يختم مدونة . بالمدونة صرف ، صوت، معجم دلالة ، تداول، تحليل خطب.

كلها تلعب أدواراً رئيسية في مدونة غابي الجمال المدونة تطبيق. تعمل من خلال إدارة نظام المحتوى. صفحة ويب على شبكة الإنترنت أو على الورق . مدخلات مرتبة ترتيباً زمنياً تصاعدياً يتحكم فيها ناشر المدونة. التحكم سمة من سمات المدون نظام من أنظمة الأرشفة في مسار دائم لا يتغير منذ لحظة النشر على ثبات الروابط . ثبات من الخوف من التحلل . مدونة المدون كراسة من النوع القياسي في مواجهة التحلل. الخوف من التحلل دفع الجمال إلى التدوين . ثمة أسباب واضحة للتدوين . الغضب، الغضب، الغضب. لن يتكلم المدون على الغضب إلا في صفحات الثمانين من المدونة . لن تخرج الأمور على سيطرة المدون . هذا هدف من أهداف . ولكنها مدونة غضب لا ينتهي في المخطوط النهائي. لم يعف الأمر الغضب من الوجود في المخطوط الأولي. غَضب من الحياة ، الهجرة القسرية، التهجير، الهجرة الطوعية، الوقوع في ما فهمه المدون من محولات انسياب أفراد العائلة في بلاد الله، الأصدقاء ، الضيق الخوف، المرض، تسطير الحياة من الآخرين لا من أصحابها .

حشد من كل الأشياء للخروج على ما حدث من تسطير . تسطير التهجير من فلسطين إلى اليابان. بين البلدين، بيروت والنمسا وإيطاليا وكل بلاد اتضحت معالمها أمام هذا الجوال. بريد إلكتروني على ورق بريد طويل ميال إلى التندي بالدمع، مع موت العمات لا الخالات . موت الأب . موت المدون. ثم خروجه من الموت، خروج التأمل من الذهن. من المؤكد أن وجه المدون وجه عاقل لا وجه مجنون. عاقل لا يحتاج إلى إيضاحات قانونية وهو يشد أعصابه على الإيحاء الدائم بالخطر . مات غابي في اليابان، من تقبلته بشعره. شعر على صلع الإقامة والإنتماء . مدون الغضب على مسرح لا علاقة له بأرسطو الغاضب . غضب اوزبورن، لأنه أحدث لكنه غضب لا يمضي بعيداً من الجمالات. الجمال حديثُ حداثة لا علاقة لها سوى بالسعي وراء الغاية. يجيء الغضب عنده من عدم القدرة على التأقلم مع تفاقم ظروف الحياةالغضب على النفس، الغضب على الشعور بالذنب. غضب عدم تطابق المدون مع خصمه. الخصوم كثر. ولكن الموت على دراجة في اليابان ليس خصماً. الخصم هو التيه الفلسطيني ، تيه بلا حدود يدفع الغضب على نحو يحاكي ولا يحاكي . ثمة ما يسمى بغضب القش غضب تشتد قوته بشكل مفاجئ . ولكنه يزول بسرعة.

لا علاقة لغضب غابي بغضب القش، لأنه

غضب مخمر، لا مهكر. لأنه غضب الولادة في عالم لم يسمح للمدون بأن يتمتع بلمسة من لمسات الرقة. شيء غير محتمل ، ما دام المدون فلسطيني. لا بشرة بيضاء لا عين زرقاء ، لا شعر أشقر . غضب من أول سطر الحياة . ولكن ، يبقى فيها ما يجذب، ما يجتذب . كل هذا التيه بدون غضب، تيه بعيد من مواضع الإعتبار . ثمة ما هو مألوف في المدونة ثمة ما ليس مألوفاً. المألوف عدم التعثر بالكلام . اللامألوف عدم التعثر بالكلام لأن ما يدونه المدون اختصاره لحياته . شيء من الزن، ما دام ملماً بحياة اليابان واليابانيين . تأمل كثير .

بعدها ، ضربة واحدة تخرج بالمهمة من التفكير المحدود إلى السعي وراء الغاية . تدوين الأعمال . لا زيادة ، لا نقصان . سماع الموسيقى ، شرب النبيذ ، تربية هر ، العلاقات بالذكور والإناث ، الإقامة الإنتماء ، اللانتماء ، الترحال ، الإنجاز . ولأن الأمر لم يمض على ما يرام ، لن يجيء الأمر بسيطاً. قوة المدونة من عدم مضي الأمور على ما يرام . دلقة واحدة، انجزت المدونة في مؤلف جدير بتأمل الحقائق ، حيث أن صاحبها لا ينحيها من قوة الدفع إلى التسطير . ثمة ما يدهش، حين يقوم الإيحاء بالخاطر الدرامي بالشد إلى المتعة بعيداً من التعثر . متعة من دراما حقيقية . شيء من ما يحدث في الدنيا . لا حيرة في الأمر لأن أحداً لا يفهم السعادة في القبلة حين لا يفهم السعادة من تراجيديا المدون . ذلك أنها من نوع يوثق به أي توافقه الكامل مع احداثه في لغة سيالة ، لا تهمها نوايا اللغة الحسنة في الرواية . ذلك أن الرواية تقوم على تعدد الشخصيات ، تعدد الأحداث تعقيدها . تعدد الأحداث موجود في المدونة . لا شخصيات . لأن الشخصيات ذكرها لا وجودها على نواحي الوضوح . ثمة كذب في الرواية . لا كذب في مدونة الجمال. التسربل بجسدها مدعاة ضلوع أولاً. ثم، التوافق الكامل معها.

لغة الأدب في سراديب النسيان . غير أن ثمة حياة كاملة أخرجها الجمال من نافذته ، حتى ظهر أنه بحاجة إلى حياة أخرى ، لكي يؤلف مدونة أخرى أو جزءاً آخر من المدونة . هكذا ، لا يظهر التوحش في تبعيد الأم والخالات والزوجة وحكايات الإعتقال في بيروت ، في دفعها إلى غير المعجل في «قبل الموت بعد الحياة». لعلها مادة الجزء الآخر . الجمال في مدونته ، اكثر صراحة من أن يخدع نفسه ، حتى حين يقول لنفسه أن هناك ما يتعلق بالخيال، في الجزء المتعلق بالإفاقة من الصدمة ، بقراءة ما بالوسع من منطق لا يتناغم ومنطق ما حدث في المدونة من أولها إلى فصليها الأخيرين. أو تصفح الحياة على ما هي عليه ، بدون إدارة صارمة . ثم ، ما يحدث عندما لا تجد من تحادثه بعد المانيفست الأول ، طوال الصفحات المئتين الأول. انتشار لا يخفي الأمور . بعدها الإبتعاد من حقائق الصفحات حيث ما يسرد يسرد في روح تقرير ، يستخدم الوصف في ما رآه المدون في أدق الحدود بحيث تضحي رواية موته خارج اعتامات الداخل في تلائم الوصف الأعلى مع جمالات لا علاقة لها بالنحافة . ذلك أن رواية قصة الموت على الدراجة الهوائية بزخارفها الواقعية، هي الأجمل في ازدحامها بالأحداث من دون إفراط. نوع رفيع الطراز، لا يكترث للإنعطافات كما حدث في واحد من الفصلين الأخيرين ، حين وجد الراوي أنه يتعين عليه أن يدفع بمؤشراته المؤجلة في تراجعه عن سلوكه الأول بصالح مواصلة التحرك ، بهدف الوصول إلى حذو تخيلي في مشهد افتراضي للموت .

موت مصطنع بعد الموت / الموت. الموت الواقعي . موت الراوي في الواقع.إذاك، يقوم الخيال مقام النظرات المختلسة للإبداع لن تتاح الفرصة للإفلات من المقارنة بين الموتين .سلاسة خلابة في تدوين ما يدون من موت المدون. مشهد عريض، يسبقه ما يسبقه ويتلوه ما يتلوه إلى درجة أن إبقاء الراوي نفسه منتبها لأدق التفاصيل المساحية، يقود إلى الظن بأن ثمة روح سياحية تقود إلى قراءة المواضع في مقر الإقامة ، وصولاً إلى الجسور والأنهار والأشجار والمقاهي والمطاعم ومقاطع السكك الحديد ومحال بيع الملابس التقليدية في الطريق من وإلى البيت. تفكيك أوربانيسمي يشق طريقه على مهل في نوع من تغير الحالات برفق بالغ . وصف لا علاقة له بالمطويات ولا بالملصقات السياحية، حين أن الجلوس في مقعد الموت تخيلاً، وقع في نوع من الإستعراض الثقافي، بدون قوة على تبرير هذا الإستعراض الموسيقي، السينمائي ، الغنائي .

كلام بطول قطار يضع فيه المدون مرفقيه على طاولات الهواء متطلعاً إلى البعيد من دون أن يحسن في التكثيف والإختزال. كلام على العزاء والمعزين، بدون شعور بما يكسو وجه المدون. مواد التجميل كثيرة في مشهد العزاء الإفتراضي والمعزين الإفتراضيين. نهاية الرواية عند نهاية الوالد. هذا اقتراح . الباقي للجزء الآخر . جزء قد يشتهي استيعاب فانتازيا مشهد الموت الإفتراضي .

مدن الملح ، حروب صغيرة. عبد الرحمن منيف . ومارون بغدادي. سوف يأتي ذكر الأول في الفصول الأخيرة . فصلان يخرجان على حركة المرور في قلب المدونة وهي تؤكد أنها ما هي عليه حين تخاطب القراء مباشرة. أو حين تشافه اتحاد كرة القدم الفلسطيني. مدونة ناجحة في فصول المؤلف . رواية لا تقدر على قيام بدل ما فعل في قلة إفلاحه بالتوفيق بين المدون والراوي. نحو المدون إلى الروي في الفصلين الأخيرين نحو يقيم الحواجز لا رفعها بصالح العبور من خاص إلى آخر . تجفيف المدون للتدوين في الفصلين هذين لم يتح له أن يكسو الفصلين بما أراد . ما يؤكد أن الرواية خد والمدونة خد . كل خد في وجه . لا في وجه واحد . الكلام على الفاصلة والنقطة كلام ضرورة من وقوع الإثنين على بعضهما من دون توفيق . الفاصلة تقود المقاطع إلى التداخل ، بحيث ينحشر المعنى في المعنى حتى يفقد المعنى معناه. ضبط النقاط لا استرسال الفواصل. أما تحرير المؤلف من دار النشر، معضلة تحدث منذ أضحى المؤلف متيسراً لكل من من أراد عدم حجب مؤلف بالقوى المادية . تحرير الدار إشراق لا يقع . هكذا ، تقع المؤلفات في حالاتها المتطرفة. ■

*كاتب ومسرحي

خمسون عاماً
على رحيل أم كلثوم

قيثارة فن الغناء والطرب الخالده

ام كلثوم صوت تربع على عرش الغناء بلا منافس

لندن ـ أمين الغفاري

تفردت في تاريخ الغناء العربي بمكانة لم ينازعها فيه أحد،وحملت القابا لم يقترب منها أحد،فهي كوكب الشرق وسيدة الغناء العربي، وعبقرية العصر الغنائيه ،وهي ايضا بمقتضى وسام (الكمال) الذي منحه لها الملك فاروق عام 1946 تحمل لقب (صاحبة العصمة) في البروتوكول. لكنها في دنيا الغناء وعالم الطرب هي الأسطورة الخالده،على مجري تاريخ الغناء العربي. أنها الأمبراطوره الحاكمه (للتذوق الفنى) وصاحبة الجلاله في فن الطرب والأنشاد .انها قيثارة للزمن الجميل ،ووتر للمشاعر الرؤوم، كما انها نغم للأحساس الرفيع،ولحن للفؤاد وللأذن، يهدهد في دواخلنا، عواطف وحنين. تصادف هذه الأيام مرور خمسون عاما منذ ان فارقتنا (أم كلثوم) ورحلت في 3 فبراير 1975، كما انه يصادف كذلك مائة عام تقريبا على طبع أول اسطوانة لها، وكانت أغنية (ان كنت اسامح وأنسي الأسيه) وقد سجلت عام 1928 وهي من ألحان (محمد القصبجي) وقد حققت أرقاما عاليه في عملية التوزيع، وأكدت موقع أم كلثوم وأهميته في عالم الغناء.

خمسون عاما مرت على رحيلها، ولازالت تملأ بصوتها اسماعنا،وتسكن وجداننا. وبتعبير أكثر شمولا لم تزل تتربع على عرشها في آذننا . ولا زالت رغم غيابها في ثنايا وجداننا .وتشهد ارقام مبيعات تسجيلاتها ارقاما عاليه في التوزيع، وقد برزت بالتأكيد في عالم الغناء اسماء متعددة ،وتتابعت على مسامعنا اصوات لها جمالها، وتكاثرت مع سنوات الطرب والشجن الحان لها بريقها،،ولكن مكانتها لم تهتز وتضعف ،ولم يخفت صوتها، ولم يتوار فنها. مازالت هي الأمبراطوره، التي توجتها الأمة العربيه في مخزون مشاعرنا.أنها النغم الخالد في حياتنا،والطرب الموصول في آذننا، والوجع الساكن فينا بعد رحيلها. انها أم كلثوم .

أم كلثوم .. واحتراف الغناء

ولدت ام كلثوم يوم 31 ديسمبر 1898 في قرية (طماي الزهايره) مركز السنبلاوين محافظة المنصوره ،والدها كان اماما للجامع ومنشدا للتواشيح اسمه (ابراهيم البلتاجي)، وأمها (فاطمه المليجي) ولذلك كان مولدها في أسرة تعنى بالكلمه واللحن،وتلقت تعليمها في الكتاب ،حيث تعلمت قراءة القرآن ،وهو ما عكس سلوكها فيما بعد كأسرة متدينه محافظة، وايضا درايتها بتعلم اللغة ونطق الكلمات باجاده ،وكان لذلك كله مردوده بالطبع في سلوكها العام،ومعرفتها بقواعد الحروف. لم يكن سنها قد تجاوز الثلاث سنوات، وهي تردد،بعض الموشحات التي كان والدها (المنشد) ابراهيم البلتاجي ،يحاول تلقينها لأبنه الأكبر (خالد) كي يصبح منشدا يعاونه ويخلفه ان تقاعد كانت أم كلثوم تتابعه وتلتقط ما يقوله، دون ان يلتفت اليها أحد، وكما وصفتها أمها انها كانت طول النهار (تسرسع) في البيت. كبرت الفتاة وأصبحت في الثامنة من العمر،وذات يوم استمع الأب لصوت هذه الطفلة صدفة، وهي تردد ما يحاوله دائما مع شقيقها من حفظ لبعض الموشحات، فانبهر بها وبدرجة اجادتها واتقانها، فكان قراره ان تنضم الى الجوقة التي تصاحبه، بعد ان جعلها تلبس ملابس الصبيان وتغطي رأسها بعقال ،واستطاعت هذه الطفلة ان تعطي للجوقه اضافة جديده من خلال (خامة) الصوت ودرجة صفائه.

أم كلثوم .. واستاذها الأول

كان حلم تلك الصبيه التي اصبح لها موقع، بمعنى مكانه ولو بسيطه في عالم الانشاد والغناء ان تلتقي بالشيخ (ابو العلا محمد) ويعد هذا الشيخ واحداً من أهم الملحنين في الربع الأول من القرن العشرين وكانت أم كلثوم تسمعه عبر (الفونوغراف) في بيت العمدة في قريتها، وتشاء الأقدار ان يكون استاذها وراعي موهبتها بعد ذلك. تقول أم كلثوم (كنت أغني بلا إحساس ولا شعور.. كنت أردد الأغاني التي أسمعها من أبي بنفس الطريقة التي يردد بها التلميذ الصغير جدول الضرب وقواعد النحو والصرف. ثم غيرني سماع صوت ابو العلا وتأثرت به وهزني صوته،إذ كنت أشعر أثناء استماعي إليه وكأنه يغني لي وحدي واستمعت إلى صوته مئات المرات أثناء غنائه: (أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعا)، وأيضًا (وحقك أنت المنى والطلب) وتابعت أم كلثوم قائلة في الوقت الذي كان فيه أطفال قريتها يرددون أغنية (أنا نازلة أدلع أملا القلل)، كنت أعيش مع أغاني الشيخ أبو العلا محمد، وقد اعتقدت في البداية أنه مات، ولم يخطر على بالها أنه مازال على قيد الحياة ويعيش في الدنيا التي نعيش فيها. لكن في محطة قطار مركز السنبلاوين عام 1916 سمعت احد الناس يقول (الشيخ ابو العلا هنا)، فهبت لتراه، هرعت تبحث عنه و تلقاه وترحب ،ثم تدعوه هي ووالدها لزيارتهم ،وحين تحدد الموعد للزياره من السلطانه منيرة المهدية ،غضب والدها وثار، وأمرها بحزم حقابها والعوده الى (طماي الزهايره) ولكن تدخل الشيخ مصطفي عبدالرازق وبقية أصدقائها وأقنعوه بأنها لو ضغط عليها بالسفر واعتزال فنها ، فانت بذلك تثبت هذا الأتهام الشائن على ابنتك ،ولكن بقاءها واستمرارها ،سيحمي سمعتها،ويعلن طهارتها ببقائها،وسنتولى نحن أمر هذه المجلة ،واعلنت منيره المهدية انها بريئة من ذلك الخبر، وقامت المجلة بالنفي والاعتذار من رئيس تحريرها (عبدالمجيد حلمي).

مع نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات كانت أم كلثوم كمطربه هي الأولى بين المطربات ،وكان عبدالوهاب هو الأول بين المطربين، وفي حين كان الشاعر احمد شوقي هو الجامعه التي تخرج منها عبدالوهاب ،فان أحمد رامي كان جامعة أم كلثوم الثقافيه والفكريه ،وتوالت القصائد والأغاني التي ينظمها لأم كلثوم واستطاعت بذلك ان تنهض بمستوى الأغنية، ومن هنا برز اساتذة فن الغناء، وابتداء من نهاية العشرينات كانت ام كلثوم ويوازيها عبدالوهاب هما القمتان الرفيعتان اللتان يحتلان الصدارة .كان الأثنان هما فرسان المغنى والطرب في محطة الأذاعة الرسميه حين تم افتتاحها اواخر عام 1934.

أم كلثوم والسينما

كان التنافس حادا بين ام كلثوم وعبدالوهاب ولذلك حين انتج عبدالوهاب فيلم (الورده البضاء) وقام ببطولته 1932، وقام باخراجه محمد كريم ،كان على ام كلثوم ان تدخل ايضا هذا المجال فقبلت عرض (ستديو مصر) الذي أنشأه طلعت حرب لفن التمثيل لبطولة احد الافلام ولذلك كان فيلم (وداد) الذي اخرجه الالماني فريتز كرامب .ويبلغ عدد الافلام التي قام ببطولتها عبدالوهاب سبعة افلام وعدد الافلام التي قامت ببطولتها ام كلثوم ستة افلام ، وقد أقبل الأثنان على التمثيل ،لأن السينما كانت تتيح لهما الظهور امام الجمهور الواسع الذي لايراهما ولكنه يسمع اصواتهما الغنائيه فقط في الراديو او الحفلات ،اما السينما فتعرض في مصر وفي كل العالم العربي، وبذلك يراهما هذا الجمهور الواسع من المشاهدين .

ام كلثوم وعبدالناصر الذي انحازت لمرحلته مع محمد الموجي

ام كلثوم وثورة يوليو

اتخذ مندوب القيادة بعد قيام ثورة يوليو موقفا حادا من ام كلثوم ،ومنع اغانيها من الاذاعة باعتبارها من ذيول العهد البائد ،وحين علم عبدالناصر الغى ذلك القرار بل وذهب الى زيارتها بصحبة صلاح سالم وانور السادات ،واعتذر لها عن هذا الخطأ ، وقدرت ام كلثوم لعبدالناصر هذا الموقف ، وتجاوبت مع قرارات الثوره ابتداءا من تحقيق الجلاء وخروج الانجليز والأصلاح الزراعي وبقية قرارات الثورة، لذلك كان صوتها بارزا في الكثير من المواقف بعد تأميم القناة غنت (محلاك يامصري) وغنت في مواجهة العدوان الثلاثي (ثوار ولآخر مدي ثوار) و (والله زمان يا سلاحي)، ثم التغني بانجازات الثورة في (طوف وشوف) ،وفي عدوان عام 1967 طافت بأنحاء العالم العربي تغنى من اجل دعم المعركه ،ومن اشهر حفلاتها حفل (باريس). كما ارتبطت ام كلثوم بأسرة الزعيم الراحل بصداقة وطيده ،وتقول السيده تحية عبدالناصر في مذكراتها (من الأخبار السعيده التي فرحت بها يوم ان أخبرني (جمال) ان أم كلثوم ترغب في زيارتي ،واستقبلتها بحفاوة بالغه ويقول عبدالحكيم عبد الناصر (لم اكن اعرف ان (تانت ثومة) التي اراها مع والدتي انها (أم كلثوم) التي تغنى الا بعد ان كبرت.

ولذلك كان حزنها عظيما على رحيل عبدالناصر. واعدت لرثائه قصيده كتبها الراحل العظيم (نزار قباني) وتقول الكلمات (حبيبنا قائدنا زعيمنا عندي خطاب عاجل ..من الملايين التي قد أدمنت هواك.. من الملايين التي تريد ان تراك.. عندي خطاب كله اشجان.. لكنني.. لكنني ياسيدي.. لا اعرف العنوان.

القاهرة وخمسون عاما على رحيل أم كلثوم

أعدت القاهرة عدة احتفاليات أقيمت في ذكرى وفاتها الخمسين، وفي شهر فبراير وهو الشهر الذي غادرت فيه ام كلثوم ورحلت عن عالمنا ،وقد أذاع موقع القاهره الأخباري تفاصيل تلك الأحتفاليات وقد تضمنت الحفل الاستثنائي الذي سيعيد إحياء أجواء الزمن الجميل ويُحيي روائع الفن المصري والعربي. وقد اقيم تحت إشراف الهيئة الوطنيه للأعلام وتضمن مجموعة من الفقرات الفنية المميزة التي تهدف إلى تكريم إسهامات أم كلثوم الكبيرة في الموسيقى العربية. ومن أبرز المفاجآت التي شهدها الحفل هو العرض الفني باستخدام الذكاء الاصطناعي، والذي أتاح للحضور تجربة فريدة يشعرون خلالها وكأنهم يحضرون حفلًا تحييه أم كلثوم بنفسها.■

الفنانة التشكيلية جنان الخليل

تحمل في جوهرها رسالة «أمل»..

«الوان» جنان الخليل بين محاكاة الواقع وتحدياته

بيروت ـ ليندا نصار*

«إنها لوحات تنطق بآلام الإنسان ومآسيه، تروي قصص أولئك الذين تحوّلوا إلى مجرد أرقام في هذا العالم الموحش. أشعر وكأننا انزلقنا إلى واقع آخر، ندور في دائرة مغلقة لا فكاك منها». بهذه الكلمات عبّرت الفنانة التشكيلية اللبنانية جنان الخليل، عن لوحاتها التي ملأت «كاف آرت غاليري» Gallery Kaf Art في منطقة الأشرفية في لبنان، وقد حمل المعرض عنوان «أمل».

هكذا انطلقت جنان الخليل من ذاتها لتخاطب الكون بألوانها وريشتها، حيث صوّرت من خلالها صراعات الروح وارتباطاتها بالقيم. في كل لوحة، يتنقل المتلقي إلى عالم آخر، عالم يمر عبر الزمن، محملاً بالألم، والفرح، والتساؤلات المستمرة التي تحمل في طياتها الدعوة إلى السلام. لوحاتها لا تخلو من صرخات تجسد الألم الكوني، الذي تنبعث منه رياح الوحشة، مع ذلك تحمل في ثنايا لوحاتها أملًا مستمرًا أيضًا، حيث تُقدم في كل منها رحلة بصرية تؤدي إلى الكشف عن طبقات الوجود المتشابكة.

وتتابع جنان الخليل لتخبرنا عن ولادة فكرة عرض لوحاتها في «كاف آرت غاليري»، فتقول:

وُلدت فكرة هذا المعرض من صرخة الأرض في غزة ولبنان، حيث أنّ الكثيرين فقدوا حياتهم، ولم يعد للإنسان قيمة أو معنى. جاءت هذه اللوحات انعكاسًا لعمق التأثر الذي عشته إزاء تلك الأحداث. وبعد خمس وعشرين سنة، كان لرندى غجر، صاحبة الغاليري، الفضل في تشجيعي على العودة إلى لبنان وعرض أعمالي في غاليري كاف، الذي أسسته غجر واهتمت فيه بالفن المعاصر.

وتعد جنان الخليل واحدة من أبرز الفنانات التشكيليات اللواتي وضعن بصمة قوية في مجال الفن المعاصر. حازت الخليل على شهادة الدكتوراه في الفن التشكيلي من جامعة السوربون في فرنسا، وهو ما يمثل تتويجًا لمسيرة فنية أكاديمية غنية. قبل ذلك، درست هندسة الديكور في الجامعة اللبنانية في بيروت، وحصلت على شهادة الدراسات العليا في الرسم والتصوير، وهو ما منحها قاعدة معرفية متينة مكنتها من مزج التقنية مع التعبير الفني في أعمالها. بذلك، جمعت جنان بين الإبداع الفني والعقلية المعمارية لتصنع أسلوبها الفريد الذي يميزها من بين العديد من الفنانين التشكيليين.

أقامت الفنانة العديد من المعارض الجماعية والفردية في العالم العربي وأوروبا، ما أتاح لها عرض تجربتها الفنية وتوسيع نطاق تأثيرها. في كل معرض، كانت جنان الخليل تسعى إلى تحدي المفاهيم التقليدية، وتقديم رؤيتها الخاصة للوجود الإنساني عبر أعمالها التي تتنوع في أسلوبها وتقنياتها الحديثة، وظلت محكومة بحسّ عاطفي عميق دائمًا، يعكس فنّها علاقتها بالعالم وبالزمن. لوحاتها، مثل نوافذ مفتوحة على عالم متناقض، تستعرض صراعات الإنسان وتبحث في تناقضات الوجود وتتمثّل من خلالها تجربة الإنسان وعلاقته بالعالم وتفاعله مع محيطه وما ينتج عنه من تأثيرات سببها الصراعات والحروب.

وفي كلمة لرندى غجر صاحبة "كاف آرت غاليري" تقول:

«لقد أسرني إبداع جنان الخليل في معارضها بتركيا، وحين التقيتها في بيروت، أقنعتها بعرض لوحاتها في غاليري «كاف» خاصتي. وبالرغم من أن المعرض تأجّل مرتين بسبب حربي غزة ولبنان، فإن الإصرار والصبر جعلانا نتمكن من تحقيقه. خصّت جنان الخليل غاليري «كاف» بأعمالها الفنية التي أنجزتها حديثًا، ثمّ قدمتها هدية لغزة».

وتتابع رندى غجر: «الفن بالنسبة إليّ هو حياتي الأخرى. أمضيت ثلاثين عامًا في أفريقيا، حيث تعرّفت إلى الفن التشكيلي الأفريقي وغصت بتفاصيله، وحين عدت إلى بيروت، أخذت «غاليري كاف» من أحد الأصدقاء، وبذلت جهدًا كبيرًا في فهم الفن التشكيلي اللبناني والتعمق فيه. لم تكن البداية سهلة، فقد ترامنت مع أزمة لبنان الكبرى، لكنني كنت مؤمنة بأن الفن هو الفرح، وهو التعبير الأصدق عن الأحاسيس الداخلية ورؤية الفنان للعالم. اللوحة بالنسبة إلي كتاب أقرأه بحثًا عن نهايته، أتأمل يوميًا الأعمال الفنية في منزلي، وفي كل مرة أكتشف فيها فكرة جديدة.. إنها علاقة الفهم اللامتناهي للفن التشكيلي».

تعتبر جنان الخليل أن الريشة هي أداة تعبير، فبها تفتح الأفق أمام مخيلتها لتمنح الحياة للألوان التي تندمج وتتشابك مع المواد المستخدمة عبر وسائل متقنة. فهي لا تسعى إلى تقديم صور واقعية بقدر ما تسعى إلى تمثيل مشاعرها وتجاربها الشخصية التي تتداخل مع مشاعر الإنسانية جمعاء. الألوان في لوحاتها تمثل سيلًا من الأفكار والخواطر، إذ تصوغ كل لون بطريقة تعبّر عن أعمق الانفعالات الإنسانية. تتنقل في مزاجها بين الألوان الحارة والباردة لتخلق توازنًا جماليًا يحمل في دواخله كثيرًا من التوتر والتآلف في آن واحد. والنتيجة هي لوحات مشبعة بالحياة، حيث يتداخل الحزن مع الفرح، واليأس مع الأمل، ليعكس ذلك التناقض الأبدي الذي يعيشه الإنسان في صراعه مع ذاته ومع العالم.

في كل عمل فني تقدمه جنان الخليل، تجد نفسك أمام لوحة ليست مجرد رسم، بل هي حالة متكاملة تنبض بالحياة. هي تجسد تفاعلها مع الكون من خلال استخدام تقنيات فنية مبتكرة تدمج فيها الرمزية والتجريدية مع الأشكال الطبيعية التي تعكس التغيرات الثقافية والعاطفية التي تمر بها. في أعمالها، لا يتوقف البحث عن المعنى بل يستمر في التنقل بين الطبقات العاطفية، لتكشف عن جوانب أخرى من الشخصية الإنسانية، ما يتيح للمتلقي أن يغوص أكثر في تفاصيل اللوحة ويكتشف في كل مرة معانٍ جديدة.

الألوان في لوحات جنان الخليل تمثل سيلاً من الأفكار والخواطر

لوحاتها، بكل قوتها، ليست مجرد تعبير عن ذات الفنانة فقط، بل هي محاولة لتقديم صورة شاملة عن الإنسان بكل تناقضاته وأحاسيسه المتنوعة. هي رحلة استكشافية في عوالم جميلة ومشوهة في آن، ولكنها تحمل في جوهرها رسالة أمل عميقة، إذ تحاول جنان الخليل من خلال ألوانها أن تخلق بيئة فنية موازية للعالم الواقعي، الذي يعج بالصراعات والتحديات والآمال أيضًا. من هنا، لا تكمن جمالية لوحاتها في التفاصيل الدقيقة فقط، بل في قدرتها على محاكاة الوجود البشري بكل أبعاده الداخلية.

يوم سألتها في أحد الحوارات: «هل الفن مؤلم إلى هذه الدرجة؟ وهل تستطيع اللوحة أن تصور هشاشة الكائن في زمن الرقميات المتسارع والعولمة المجنونة العابثة بكل شي بما في ذلك الإنسان نفسه»؟

أخبرتني أنّ ألم الفن متعة لا يدركها سوى الفنان ذاته، فهي لا تجزم بذلك الألم كما أنها لا تنفيه قطعًا. تتكون الحياة بين ضدين هذا وذاك، فإن كان الفن مؤلمًا يبقى أخف وطأة من ألم الحياة نفسها ومعاناة البشر اليومية، التي تستطيع اللوحة التعبير عنها حتمًا مع اختلاف الزمكان، ومهما كانت القضايا متعددة ومتشابكة، فالفن جمال لها.

وفي معرضها المذكور في «كاف آرت غاليري»، توسعت جنان في أعمالها لتشمل ثيمات جديدة لم تكن موجودة في معارض سابقة. فقد قدمت لوحات تحمل رموزًا لأشكال وأرقام، ما يعكس تفاعلها مع التقنيات الحديثة والعصر الرقمي الذي يغير من شكل الإنسان وواقعه. هذه الأعمال تعتبر دعوة إلى التفكير في علاقة الإنسان بالآلة، ومع المكان والزمان في العصر الرقمي. اللوحات التي تم عرضها في هذا المعرض تجعل من المشاهد يراجع نفسه في مواجهة التكنولوجيا الحديثة، وفي علاقة الإنسان مع العالم الذي بات يطغى عليه التطور السريع.

من خلال رؤية فنية دقيقة وواسعة في آن، تمكّنت جنان الخليل من تسليط الضوء على الأعماق المضمرة للإنسان حيث جسّدت من خلال مزج المواد الخام بالألوان لتخرج بلوحات تقاوم بها على الصعيد الشخصي قبل كل شيء، المرض والألم والاكتئاب عبر رفض السوداوية والظلمة النابعة من اللاإنسانية أو حيث تجرد الإنسان من إنسانيته، فقد راحت تصرخ في لوحات تنضح بالحياة في رغبة منها بزرع الأمل بإنسان ما زال يقدّر أخاه الإنسان، بعد أن صارت الأفكار والعقول متجهة باتجاه واحد خارج عن الإبداع في عالم تحكمه الآلات والأرقام.

تبحث جنان الخليل عن حياة داخل هذه الحياة، حياة ملؤها الصفاء والنقاء وسط رفض الجانب الزائف الذي صار مهيمنًا على العقول. إننا أمام فنانة مقاومة تسير في خط يعيد للحضارة مكانتها. تقول جنان في حديثنا عن سؤال الموت وكأنها تستشرف الحروب التي مرت منذ حرب غزة إلى حرب لبنان: كيف يمكن ترجمة سؤال الموت في لوحة مسطحة ممتدة؟ ألا يفرض هذا الموضوع تغيير الشكل، ما دام الموت يحوّل الأرض إلى تابوت أو قبر؟ فالتابوت، في جوهره، يمثل حياة لأجساد ممزقة لا تقوى حتى المقابر على احتواء رفاتها المتناثرة بين شظايا الحروب والطائفية والتفسير الأحادي للدين والتطرف والإرهاب. وليس هذا فحسب، بل إن فلسفة ما بعد الحداثة اجتاحت العالم العربي بمظاهر سطحية، كالسراويل الممزقة، من دون أن يمر أولًا بمرحلة الحداثة والعقلانية.

وفي النهاية، تظل أعمال جنان الخليل بمنزلة قصائد مرئية، تنطق بالكلمات التي يصعب على الكلمات التعبير عنها. إنها تحمل رسالة خاصة في كل عمل، وتفتح أمام المشاهدين أبوابًا للتأمل في ما وراء الألوان والأشكال، لتدعوهم إلى رحلة بحثية عن الذات والوجود. لا يمكن النظر إلى لوحاتها من دون أن يشعر الناظر بأنها جزء من تجربته الخاصة، لأن كل لوحة هي نوع من بصمة فنية تظل محفورة في الذاكرة، وتثير مشاعر مختلطة بين الألم والأمل، بين الواقعية والخيال. ■

*كاتبة، شاعرة وناقدة

لوحاتها محاولة لتقديم صورة شاملة عن الإنسان بكل تناقضاته وأحاسيسه المتنوعة

عالم الآثار السعودي
سعيد ظافر لـ«الحصاد»:

السعودية من البلدان الرائدة في مجال الإنجازات الأثرية والسياحية

الرياض: رنا محمد خير الدين*

من منطلق شغفه بكنوز المملكة العربية السعودية الحضارية، يروي عالم الآثار السعودي سعيد ظافر حكايات العصور القديمة ويوجّه البوصلة نحو مواقع المملكة الأثرية الأكثر دهشةً، التي تتوارى بينها العجائب.

الطموح، العزيمة وحب الاستكشاف صفات عالم الآثار السعودي الفنان سعيد ظافر. بات مثالاً يُحتذى به جراء خبرته في مجال الفنون القديمة والآثار وحنكته المعهودة في استقراء حياة القدماء واستنباط طرق تفكيرهم وعيشهم.

عشرون عاماً من العمل الدؤوب والكفاح المتواصل، سعى مقدّم برنامج «جذور» الوثائقي، خلالها للكشف عن كنوز المملكة التاريخية، ويقول عن ذلك: «حضارة شبه الجزيرة العربية متشعّبة ومشوّقة حدّ الدهشة. في المملكة، كلّما رفعت حجراً تجد أثراً، عبارة أردّدها دائماً خلال رحلاتي التنقيبية. ساحرةٌ، هذه الأرض الطيبة بكنوزها، قصصها ومغامرات من سكنوها قديماً».

البدايات

الدافع الميداني للبحث عن القطع الأثرية يتصل بالأطر الفنية التي تميّز بها الإنسان القديم الذي عاش على أرض شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنين، يعود هذا الاتصال إلى عمق التاريخ والموروث الحضاري الذي يزداد زخماً يوماً بعد يوم، حتى باتت السعودية من البلدان الرائدة في مجال الإنجازات الأثرية والسياحية في العالم. ومنذ انطلاقة مسيرته كنّف سعيد، المتخصّص في مجال الفنون القديمة، طاقته للكشف عن اقتران النقوش والقطع الأثرية بالجانب الفني لدى الإنسان القديم، يبوح عن ذلك قائلاً: «إن نظرنا عن كثب إلى عصور ما قبل التاريخ نجد أن الإنسان وثّق حضوره بالفنّ، ترك لنا إرثاً كبيراً استطعنا من خلاله استنباط فكره وحالته التي عاشها. ونستكشف من آثار المملكة تنوّعها دلالةً على انفتاح هذه الشعوب على أقطار العالم».

إلى جانب نشأته وسط عائلة متعطّشة للفنون والتشكيل، تركت مظاهر الفنون في مسقط رأسه أبها كالقطّ العسيري والبيوت القديمة والأزياء التقليدية أثراً رئيساً في دخول سعيد لدراسة الآثار والفنون القديمة، إضافةً إلى الدعم الذي تلقاه من عائلته، فوالده متذوّق للفنون بأشكاله وأخوه الفنان عبدالله الأحمري، الذي يدير وإياه غاليري آرت فيجن بالرياض، ترك بصمة فنية في نفس سعيد، يشير إلى ذلك قائلاً: «أذكر جيداً حين أنشأ لنا والدي غاليري للرسم داخل المنزل، وفّر لنا الألوان والأوراق والكانفوس، وعرض أعمالنا على أصدقائه المهتمين بالفنون. فيما يخصّ التعمّق في هذا المجال فأخي عبدالله شغوف في قراءة كتب المدارس الفنيّة والبحث العلمي، كان له دورٌ أساسيٌ في حياتي الثقافية والفنية وتوجّهي».

علقت مشاهد البيوت القديمة في أبها ونقوش جدرانها بذاكرة سعيد، ويشير إلى ذلك بالقول: «الإنسان القديم في الجزيرة العربية، قبل أكثر من 17000 سنة من الآن، حاول نقل صورته التاريخية عبر الرسوم والنقوش. جذبتني الموارد الأثرية في مدينة أبها التي تعرّفت عليها ورأيتها في صغري، لمعرفة تفاصيل أكثر عن فكر هذا الإنسان القديم لذلك توجّهت إلى دراسة الآثار والفنون القديمة».

الفنون الصخريّة في شبه الجزيرة العربية لها دلالة جمّة على ما وصل إليه الإنسان القديم الذي عاش على هذه الأرض، فهذا النتاج الفني له طابع تعبيري، ويحاول سعيد جاهداً عبر أبحاثه واستكشافاته أن يثبت للعالم المنظور التشكيلي الفني الذي اعتمده القدماء في شبه الجزيرة العربية، قبل 10000 سنة.

«وجدت مظاهر المدرسة الفنية التكعيبية بنقوش الجبال الصخرية بالمملكة، ما يُثبت أن الإنسان العربي القديم قد أنجز وطوّر مفهوم الرسم على الصخور»، يقول سعيد.

القطّ العسيريّ.. عمق تاريخي

«أكثر ما لفت نظري في كنوز المملكة الأثرية أنها سلسلة مترابطة بجميع تفاصيلها، فمنذ ما يقارب 7 أو 8 سنوات، أعمل على مشروع القطّ العسيري كعمق حضاري وثقافي، خلال بحثي عن أسرار ألوان القطّ العسيري وتشكيلاته وجدت أنه يرجع إلى أكثر من 3 آلاف سنة من الآن، ورمزيّاته مختارة بدقة وعناية من الإنسان العربي القديم، ليست من عبث، وهذه المرحلة التي وصلتنا هي مرحلته النهائيّة التي تنبثق من التجريدية البحتة، والدليل على ذلك، الكهوف الملوّنة الموجودة في منطقة جازان التي تضمّ اللون الأحمر حيث استخدم أوكسيد الحديد لإنتاجه، بالإضافة إلى اللونين الأزرق والأخضر حصلوا عليهما من البيئة حولهم».

تحمل دراسة الآثار في طيّاتها، بحسب سعيد، نظريتين الأولى حسيّة، والثانية فلسفية لفهم طبيعة حياة الإنسان القديم وقتذاك.

«جذور».. بوابة الحضارة العربيّة

يقوم سعيد، بتقديم برنامج «جذور» الوثائقي الذي يُعرض على القناة الأولى بموسمه الأول ومنصة شاهد، حيث يتطرّق في كل حلقة إلى قصة الإنسان قديماً في المملكة العربية السعودية قبل 7000 سنة ويفصّل الشواهد الحضارية للعصور القديمة، وعن هذا العمل يقول سعيد: «جذور هو نتاج عمل متواصل وجاء تلبية لأمنية ابني طلال». ففي عام 2004، كنت أتابع حلقة من برنامج وثائقي عن أحد المعابد في مصر، فناظرني ابني طلال وقال لي: والدي، لم لست معهم، ألست عالماً للآثار؟ فأجبته: نعم أنا كذلك، ويوماً ما، ستشاهدني على التلفاز بوثائقي عن الآثار. من هنا، جاء «جذور» تلبية لأمنية ابني طلال.

يرى سعيد العمل أبعد عن كونه وثائقياً يعرض حضارات الشعوب العربية القديمة، ويدرجه على قائمة أعمال المملكة الثرية، ويعلّق على ذلك بالقول: «كنت أصحو كل صباح، وكلّما اتصلت بتراب وطني الغالي، كنت أتمنى دوماً أن يرى العالم ويشهد القيمة الحضارية الموجودة لدينا، فقد حان الوقت كي نفتخر بكنوز مملكتنا وثقافتنا وننشرها في كل الأرجاء».

«جذور» من إخراج عبدالرحمن صندقجي، وإنتاج محمد التركي.

عام 2018 على مدار 71 يوماً، خاض سعيد رحلة تنقيبية لاكتشاف المستطيلات الموجودة في الصحراء الواقعة ما بين مدينة حائل والعلا، برفقة زملائه عالمة العظام الفرنسية لوسي وعالم الآثار وائل أبو عزيزة فرنسي من أصول أردنية، استطاعوا خلالها الكشف عن بقايا عظام تعود لأنواع حيوانات منقرضة وهياكل عظمية بشرية، ويقول عن هذه التجربة: «لمدة 71 يوماً خيّمنا في البرّ بجانب الطبقات الأثرية، عشنا خلالها لحظات جميلة ومشاعر مختلطة بين القلق والفرح. كنت سعيداً جداً بهذا الاستكشاف لكونه ظهر لأول مرة إلى العالم».

«المسطرينة» الأداة الأهم بالنسبة لسعيد التي ترافقه في جميع رحلات التنقيب، يقول عنها: «لا أستغني عن المسطرينة في المواقع الأثرية، هي رفيقة دربي منذ التحاقي في مجال الآثار قبل 20 عاماً. تُعدّ مفتاح الإنجاز والطموح بالنسبة لمشواري العلمي ولا زالت تعطيني الكثير رغم قدمها، لكنني أستأنس بوجودها معي».

وعن سؤاله عن أي موقع أثري يتوق لاكتشافه، يجيب: «كلّما بلغ عالم الآثار مراحل متقدّمة من الاستكشافات الأثرية زاده ذلك طموحاً لمعرفة المزيد. ولعلّ الفضول لمعرفة الأسرار هو سرّ بقاء عالم الآثار ونجاحه. وللإجابة عن سؤالك بشكل أدقّ، فأرغب بالتعرف على تفاصيل الآثار غير المادية للممالك العربية القديمة من حياتهم إلى سياساتهم وكذلك دياناتهم وتجاراتهم».

وفي نهاية حديثنا معه توجّه سعيد لطلاب علم الآثار قائلاً: «عليكم تطوير مدارك الفهم لطرق تحليل الأشياء ومقارنتها، من خلال متابعة تفاصيل الأبحاث الخاصة بالآثار ونتائجها إن في المواقع الأثرية السعودية أو الخاصة بالحضارات المجاورة للجزيرة».

موقعان أثريان ينصح بزيارتهما: موقع الفاو في محافظة وادي الدواسر، موقع دادان بالعلا.

موقع أثري يتوق لاستكشافه خارج المملكة: مراسي السفن العربية في الهند.

من أهم صفات عالم الآثار الناجح بحسب اعتقاده: الصبر والطموح.■

* كاتبة وصحافية

«سيدنا رمضان» في المغرب

عادات وتقاليد وطقوس تاريخية مقدسة توحد المغاربة

المغرب: سعيدة شريف*

يعد شهر رمضان من أهم المناسبات الدينية والاجتماعية التي تجمع المغاربة وتوحدهم، له خصوصية حضارية وسلوكية تجسدها منظومة متكاملة من العادات والتقاليد المغربية في المأكل والملبس والمشرب الضاربة في القدم، والتي تعكس تقديس المغاربة لهذا الشهر، لدرجة تجعلهم يسمونه "سيدنا رمضان"، ويستعدون لاستقباله كل سنة منذ منتصف شهر شعبان بهالة من القداسة ومظاهر تعبدية وسلوكيات اجتماعية واقتصادية مخصوصة، قد تمتد إلى ما بعد عيد الفطر مع صوم أيام معدودات من شهر شوال، كل ذلك في تمازج رفيع بين الأصالة والمعاصرة وبما يصل ماضي هذا البلد العريق بحاضره.

فإذا كانت أغلب الشعوب الإسلامية تعتبر أن الصلاة هي أهم شعيرة دينية وأكثر أركان الإسلام أهمية، فإن المغاربة يقدسون فريضة الصوم أكثر من غيرها من الفرائض، كما يرى مجموعة من الدارسين لتاريخ المغرب، والذين يوثقون أن سلاطين المغرب كانوا يولون هذا الشهر أهمية خاصة لما له من بعد روحي ودعوي، ويخصونه بمجموعة من الدروس الدينية ومظاهر البر والإحسان، وهو ما مازال متواصلا إلى الآن مع الدروس الحسنية الرمضانية التي يترأسها العاهل المغربي، و«موائد الرحمان» والمساعدات المعروفة بـ «قفة رمضان» التي تقدم للأسر المحتاجة، كما يستحثون الهمم من أجل الجهاد والفتوحات الإسلامية، حيث يسجل التاريخ، كما يقول المؤرخ المغربي الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش، تكثيفا لعمليات الجهاد في رمضان في العصر الأموي وغيره من العصور، ويعزو ذلك إلى قدسية شهر رمضان، التي «تشكل حافزا للبسالة والاستشهاد وتحقيق النصر، وتزيد من تماسك الحاكم بالمحكوم، وتذيب التناقضات الداخلية"، مشيرا إلى أن "مشروع فتح الأندلس كحدث مدوي في تاريخ العلاقات بين الإسلام والغرب أنجز في شهر رمضان أيضا».

رمضان والوجدان الجمعي

ومن الشواهد أيضا على أهمية رمضان في المغرب، كما يقول يوسف المساتي الباحث في التاريخ والتراث لـ«الحصاد»، هو أن «الحكام في المغرب منذ الفترات الإسلامية المبكرة كانوا يولون اهتماما خاصا لتنظيم هذا الشهر، سواء من خلال ضبط الأسواق والأسعار، أو من خلال توفير الأمن في الفضاءات العامة، كما أن السلطات الاستعمارية الفرنسية أدركت منذ البداية حساسية هذا الشهر بالنسبة للمغاربة، وخطورة أي تصرف يمكن أن يفهم على أنه انتهاك لحرمته، ولهذا سارع الماريشال ليوطي إلى إقرار قانون يجرم الإفطار العلني في رمضان، وهو قانون لا يزال ساري المفعول حتى اليوم، وذلك خوفا من أي اعتداء على القيم الدينية للمغاربة الذي قد يثير موجات احتجاجية تهدد الوجود الفرنسي في المغرب».

ويؤكد المساتي أن شهر رمضان في المغرب له مكانة استثنائية في الوجدان الجمعي للمغاربة ترتبط بالتوقير والتبجيل، ويمكن تفسير تلك المكانة، برأيه، من عدة زوايا، لعل أبرزها أن الصيام، رغم كونه عبادة فردية، إلا أنه في شهر رمضان، يخلق حالة جماعية موحدة، تتجلى في تزامن مواعيد الأكل والعمل، وفي الطقوس والعادات اليومية التي تميز هذا الشهر عن باقي السنة، هذا التوحد الاجتماعي ربما هو ما جعل رمضان يتخذ طابعا قدسيا في المخيال المغربي، ليس فقط من الناحية الدينية، ولكن أيضا من الناحية الثقافية والهوياتية.

أطباق رمضانية أصيلة

تتنوع طقوس وعادات الاحتفاء بشهر رمضان، أو ما يصطلح عليه في المغرب بـ «العواشر»، وتبدأ منذ منتصف شهر شعبان، حيث يتم تنظيف البيوت والمساجد، ويتم اقتناء أوان جديدة لتزيين مائدة الإفطار، مثلما يتم شراء كل مستلزمات الشهر من مواد غذائية يتم الإقبال عليها بشكل كبير في رمضان كالتمور والمواد التي تدخل في إعداد الكثير من المأكولات والحلويات الخاصة بهذا الشهر الفضيل كحلوى الشباكية ذات الأصول الأندلسية (تحضر بالدقيق والعسل والسمسم وماء الزهر ومواد أخرى)، والبريوات المعسلة (تحضر باللوز والعسل)، وحساء الحريرة (يتكون من طماطم وحمص وعدس وقطع لحم وبقدونس وقزبرة وبصل) الشهير في المغرب والأكثر حضورا في مائدة الإفطار المغربية طيلة شهر رمضان، والذي يعود إلى الفترة الموحدية (القرن 12م)، حيث كانت تحضر بمكونات شبيهة بالمكونات الحالية باستثناء الطماطم التي لم تكن معروفة في المنطقة إلا بعد القرن 16م. إضافة إلى أنواع أخرى من الحساء والحلويات والمملحات من «بريوات» و«بسطيلات» وفطائر كـ «المسمن» و«بغرير» و«رزة القاضي».

رمضان في المغرب

رمضان في المغرب له مكانة استثنائية في الوجدان الجمعي للمغاربة ترتبط بالتوقير والتبجيل

ويظل «سلو» أو «السفوف» هو الحلوى المفضلة للجلسات العائلية في رمضان، والتي لا يخلو أي بيت منها، حيث يرفق سلو مع الشاي المغربي بالأعشاب. وتتكون هذه الحلوى من طحين محمص ولوز وجوز وسمسم وشمر ومواد أخرى، ويعود أصلها إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية الأمازيغية، ويصف الجغرافي الشريف الإدريسي الذي عاش في القرن 12 في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، هذه الأكلة الأمازيغية العجيبة وصفا دقيقا ويشير إلى أنها مغذية، وأن "كفا منها مع اللبن يغني المرء عن الطعام مدة يوم كامل».

أما التمر، الذي لا تخلو الموائد الرمضانية المغربية منه، فهو كما يقول يوسف المساتي، أحد أقدم الأطعمة التي ارتبطت بالنظام الغذائي للمغاربة، فقد كان يستهلك منذ العصر القديم، خاصة بين الرحل والفلاحين، نظرا لقيمته الغذائية العالية، وفي السياق الرمضاني أصبح عنصرا ثابتا في العادات الغذائية الرمضانية.

إقبال على الزي التقليدي

وإلى جانب الأكل الخاص بشهر رمضان، يحرص المغاربة على ارتداء الملابس التقليدية رجالا ونساء وأطفالا في البيوت وأثناء الزيارات العائلية أو خارج المنزل عند الذهاب إلى المساجد لأداء الصلوات خاصة صلاة التراويح، وذلك لما يتميز به اللباس التقليدي من حشمة ووقار ونخوة وفخامة حتى في بساطته.

وهو ما ينشط الأسواق المغربية ويجعلها تشهد حركة غير معهودة، كما يزداد الإقبال على الصناع التقليديين ومصممي الملابس التقليدية، الذين أصبحوا يتفننون في اللباس المغربي التقليدي من "قفطان وجلابة وجابدور" ويمزجون فيه بين الأصالة والمعاصرة لتلبية رغبات جميع الأذواق.

إن الإقبال المتزايد في هذا الشهر على ارتداء اللباس التقليدي المغربي يعكس حضور الهوية الثقافية في هذه المناسبة الدينية. ومن المثير للاهتمام، حسب الباحث المساتي، أن هذا "الميل إلى التمسك باللباس التقليدي تعزز بشكل واضح خلال فترة الاستعمار، حيث تحول إلى رمز للمقاومة، إذ أطلق المغاربة حملات مقاطعة اقتصادية للبضائع الفرنسية، وكان ارتداء الزي التقليدي شكلا من أشكال هذه المقاومة، وإعلانا عن الانتماء»

الجماعي إلى الهوية المغربية الإسلامية، ومن الطبيعي أن يتعزز الإعلان عن الهوية الجماعية خلال المناسبات الدينية».

ومن العادات التي لا تزال حاضرة بقوة في المغرب إلى اليوم، كما يقول المساتي، هي تدريب الأطفال على الصيام عبر طقس يعرف بـ «التخياط»، حيث يشجع الطفل على صيام نصف يوم فقط في البداية، ثم يزيد تدريجيا حتى يتمكن من صيام يوم كامل، وعندما يصل الطفل إلى سن يمكنه فيه الصيام دون مشقة، يحتفى به في ليلة السابع والعشرين من رمضان، حيث يرتدي لباسا تقليديا، وتقام له مائدة إفطار مميزة، وإذا كانت فتاة تزين بالحناء وغيرها من الطقوس الاحتفالية التي ترافق ليلة السابع والعشرين من رمضان.

إن هذا التقليد يمكن اعتباره حسب الباحث في التاريخ «طقس عبور رمزي، يشبه ما تعرفه بعض المجتمعات التقليدية عند انتقال الطفل من مرحلة عمرية إلى أخرى، فهو ليس مجرد تدريب جسدي على الصيام، بل هو أيضا إعلان اجتماعي عن انتقال الطفل إلى مستوى جديد من المسؤولية الدينية».

الاحتفاء بليلة القدر

وتبلغ ذروة الاحتفاء في رمضان في ليلة السابع والعشرين من رمضان التي يعتبرها المغاربة ليلة القدر، فيقضون معظم الليل في الصلاة في المساجد، وتحرص النساء على تعطير بيوتهن بالعود وأزكى العطور، وإعداد ألذ الأطباق والمأكولات كالكسكس، الذي يقدم للمصلين في المساجد أو في التجمعات العائلية، التي يحرص عليها المغاربة في هذا الشهر. وإحياء ليلة القدر في المساجد هي عادة لم تتغير عبر التاريخ، حيث يختم القرآن في صلاة التراويح، إضافة إلى القراءة الجماعية للقرآن، وتخصص بعض القرى فضاءات لنحر الذبائح وتوزيعها على المحتاجين، تجسيدا لروح التكافل في هذا الشهر الفضيل.

عيد الفطر أو العيد الصغير

أطفال باللباس التقليدي في رمضان

في سابقة من نوعها أول مسحراتية رمضان تفجر جدلاً في المغرب

وبعد إخراج الزكاة في الأيام الأخيرة لرمضان، تهتم الأسر المغربية باقتناء كسوة العيد لكل أفراد العائلة وخاصة الأطفال، الذين لا يمكن إلا يرتدوا الجديد من الملابس التقليدية والعصرية في يوم العيد، كما أن الجمعيات الخيرية المدنية تجتهد أيضا لتوفير كسوة العيد للأسر المعوزة وفي المناطق النائية، من باب التضامن والتكافل الاجتماعي الذي يحث عليه ديننا الحنيف، والذي يتميز به شهر رمضان وأيام عيد الفطر في المغرب.

ورغم محافظة المغاربة على العديد من تقاليدهم الرمضانية المتواصلة إلى غاية عيد الفطر وشهر شوال، إلا أن بعض التغيرات طرأت على نمط الاحتفال بهذا الشهر عبر الزمن، بفعل عوامل اقتصادية واجتماعية، من أبرزها، كما يقول المساتي، التحول من نمط يقوم على الاستهلاك البسيط الذي يضمن الحاجيات الغذائية والصحية إلى نمط استهلاكي يتميز بنوع من "البذخ" في الإنفاق على الطعام والشراب، وهو ما غير بعض العادات القديمة. كما أن غلاء المعيشة وارتفاع أثمنة الكثير من المواد الاستهلاكية، ساهم في تقليص الكثير من التجمعات العائلية المعروفة في هذا الشهر، ومن الإسراف في الأكل واللباس.. ■

الباحث المغربي يوسف المساتي.

ومع اقتراب عيد الفطر أو «العيد الصغير» كما يحلو للمغاربة تسميته لأن العيد الكبير هو عيد الأضحى، تعكف الأسر المغربية على إعداد أشكال متنوعة من الحلويات التقليدية والعصرية لتزين بها موائدها في الإفطار، إلى جانب أنواع معينة من الفطائر كـ «الرغيفة بالعسل» الخاصة بعيد الفطر، كما تعرض المحال التجارية كل الحلويات التي تختلف أسعارها حسب مكوناتها.

*إعلامية وكاتبة

هذه الاشجار تقطع في ليلة واحدة

محمد علي فرحات

استيقظت لأرى الجبل أقرع، كان حتى الأمس مكسواً بالشجر.

تأكدت من الرؤية وسألت نفسي: كيف في ليلة واحدة تقطع كل هذه الأشجار؟

رن الهاتف وطلب الصديق رأيي في الظاهرة العجائبية. أية ظاهرة، سألت؟ قال: ألم تستيقظ على الأصوات، كم أنت ثقيل النوم؟

ولم يكن الصديق مضطراً للشرح، كان التلفزيون يكرر بث الخبر مع الصور الليلية: أشجار الغابة بدلت جذورها بدواليب، وتركت الجبل بسرعة 60 كيلومتراً في الساعة متجهة الى البحر.

شاطئ لبنان مليء بالأشجار المنتحرة، مثل نهر في الأمازون يحمل ما قطع الحطابون.

أشجار لبنان لم يقطعها أحد: كيف يكون شجر في وطن يأنس أهله الى لغة جافة. الأفضل أن يكون بلداً بلا أشجار. بلداً يشبه لغة أهله.

لا متسع لي في الصورة.

تزاحموا فملأوا إطار المكان وأنا وراء المصور واقفاً بلا دعوة. أرى الصورة على الحائط. أذكرهم واحداً واحداً ولا يذكرونني حين ينظرون إليها في بلادهم الجديدة المتباعدة.

الياقات المنشّاة وربطات العنق المناسبة لبزات من الجوخ الإنكليزي أنجزها خياط واحد يثقون به في بناية اللعازارية في بيروت، يقفون في الحديقة الصغيرة لاستوديو "فاهيه" في بيروت أيضاً ملبين أوامر المصور في طريقة الابتسام ووجهة العيون، الى أن يبهرهم الضوء ويتم التأكد من إنجاز الصورة.

حملوها معهم حين رحلوا وبقيت وحدي خارج الصورة، بل إن إطار مسكني مزقته الحروب، لم يبق ملائماً لأي صورة.

المعارك العربية تكاد تنحصر في اللغة لا في الجبهات، وإذا أتيح لها الخروج فإلى الغرائز حيث مقاتل أهل يتكلمون اللغة نفسها. ويصر صديقي الذي نال الجنسية البريطانية على استخدام لغة المعارك العربية حين يهاتفني في لندن، ومن ذلك حوارية يرددها: «لماذا انسحبت من المعركة؟

حين الجبان يكرّ والشجاع يفرّ فتأكد أن في الأمر خيانة». ورداً على حواريته أخبرته عن لوحة كتبت عليها الآية «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» معلقة في أحد المطاعم الكبرى على الطريق الصحراوية بين الإسكندرية والقاهرة، فدهشت لاستحضار معنى حربي في مطعم، وقلت للسائق: أليس الأجدر تعليق لوحة تضم الآية «كلوا من طيبات ما رزقناكم»، أم أن لغة الحرب في مطاعمنا لا في الجبهات؟

لم يستطع صديقي اعتماد لغة ترضي عقله وتسمح بالحضور في مجتمعه العربي في الوطن والمهجر. يتمسك بلغة السبعينات لعدم وجود بديل، لكنه في أحيان كثيرة يضجر من نفسه حين يرى لغته موزعة على حوالى 60 عربياً في حوالى 400 فضائية يمارسون الطنين، الطنين ولا شيء آخر، باعتبارهم خبراء في الشأنين السياسي والاجتماعي. لا أحد منهم يقول جديداً، والجميع يكرر الألفاظ/ الطنين. قال صاحبي: حالتنا النفسية تتاج ما نشهد وما نقرأ.

قلت له إنني اخترت الانسحاب، وحتى إذا لم أنسحب فإن الطنين سينفيني فلا دور لي ولأمثالي في شؤون الفكر والسياسة حيث يروج التنازل عن القيم، أياً كانت هذه القيم.

نمشي على خط الدائرة فنصل الى نقطة البدء، ثم نعاود المشي حتى الدوار، ونقول اجتهدنا فلم نحقق نقلة في المسار.

متسع الرمل عند الشاطئ، من زبد الماء الى أول التراب والعشب والشجر. نمشي فلا يميزنا الواقفون على الشرفات، مجرد كائنين صغيرين نتحرك بين الأخضر والأزرق.

الرمل هو مدانا، نتداخل في الهواء المالح والنور الغامر ووهج الماء.

بارد هو البحر لكنه يرسل سخونته حين يتحد رذاذه بالشعاع.

نمشي على الشاطئ، ندخل في الأشياء لا نعبرها. مشي يختلف ما بعده عما قبله. ونعود الى الفندق وقد تغيرنا، لا نشبه أولئك المتحلقين حول بركة ماء داخل جدران عالية.

الشاطئ الوسيع لنا والأفق يحضن الأحلام لأن الحب في المتسع غيره في الأمكنة الضيقة، لا اختناق ولا فراق.

ألا يزال الرمل واسعاً هناك؟ يسأل البعيد الذي يفتقد الخفق المفاجئ بعدما ضمرت روحه بين بيت ومكتب.

يكتفي بالسؤال لا يطلب جواباً. لقد خسر لمسة الجنون الحبيب واندرج في نظام الأشياء. يرى غصن الشجرة وفق مقياس محدد ويعرف سلفاً أحجام الثمر المهجن.

يسأل ولا يطلب جواباً: ألا يزال واسعاً ذلك الرمل أم أنه ضاق فتداخل رذاذ الموج بتنهيدة فتاة الشرفة؟

يلبس ثوب «الحياد العلمي» في غرفته المقفلة، مسطراً مستطراداته يغزلها من خيوط آخرها في يده وأولها في أمكنة بعيدة. ولا نتعلم تكنية الإتهام بالهزء من رجل امتلأت غرفته بكتب قديمة وحديثة فلا فسحة تكفي حركته الحرة. نتعلم منه معارف ينثرها ليغرينا ونحاذر أن يقودنا الى حيث يلاعب شياطين كثيرة ليوجه سهامه الى شيطان واحد.

وقادنا الحذر الى التأكد من أن التخصص في لعن شيطان واحد هو سلوك غير محايد وغير علمي، وأدركنا في ما يشبه اليقين أن صاحبنا القليل الكلام البطيء الحركة نذر حياته لتهديم منظومة واحدة أو نظام واحد، يجهد في جمع المعارف وابتكار الأساليب وشحذ الكلمات والصياغات اللغوية لتصير سهاماً أو سكاكين.

كانت المعرفة شجرة فأحالها خشبة مسننة، أي سلاحا بدائياً من الأسلحة الحديثة السريعة الفتك.

يلبس ثوب «الحياد العلمي» في غرفته المغلقة حتى إذا غادرها تمزق ثوبه بفعل الهواء والنور مفسحاً لعري مخجل: إذا تخصصت في لعن شيطان واحد فالحال إننا نشهد صراع شيطانين.

وليست الكتابة صراع شيطانين، إنها مطلوبة بذاتها ولذاتها ولمن يقرءها وإن تشيطن أحياناً. كتابة مطلوبة لكنها نادرة في مجتمع يتساوى فيه «المحايد العالم» مع حامل سلاح الشارع. ■

احتفالات الجاليات العربية في لندن بشهر رمضان

■ نظمت الجاليه الفلسطينيه في بريطانيا حفل افطار،يوم الاحد الثاني من رمضان في مطعم الشام وقد شهده عدد كبير من العائلات الفلسطينيه والعربيه الى جانب شخصيات بارزة منهم السفير الفلسطيني في لندن حسام زملط بالاضافة الى عدد كبير من ابناء الجاليه العربيه،وقد القى رئيس الجاليه الدكتور نهاد خنفر كلمة ترحيب بالحضور، وقد تخلل الحفل حملة تبرع لدعم مشروع حفر بئرين لتوفير مياه صالحه للشرب في غزة، ثم اعلن الدكتور نهاد عن برنامج مهرجان العيد الذي سيقام في الخامس من ابريل وهو مخصص للعائلات والاطفال ،كما اعلن كذلك عن تأسيس مدرسة فلسطينيه تقدم اول دروسها بعد شهر رمضان، و قيامهم بالتحضير لعرس فلسطيني جماعي يشكل تظاهره ثقافيه فلسطينيه بارزه، كما أضاف انهم ايضا بصدد اطلاق صندوق للتكافل الاجتماعي ،بهدف تقديم الدعم للحالات الطارئة التي تواجه الجاليه بين الحين والآخر

وفي العاصمة البريطانيه اقام البيت المصري حفل افطار في مقره بمنطقة WHITE CITY دعي اليها عدد كبير من المصريين والعرب والبريطانيين من دبلوماسيين مصريين ونواب بريطانيين ورجال الدين المسلمين والمسيحيين ،كما حضرت وفود من ممثلي الجاليات السودانيه والاردنيه والعراقيه ،وقد القيت العديد من الكلمات بدأها رئيس البيت المصري مصطفى رجب ، وشكر الحاضرين متمنيا لهم افطارا شهيا، منوها بالعلاقات الطيبه التي تربط بين اعضاء الجاليه ونظرائهم من الجاليات الأخرى.

كما دعت منظمة المغتربين العراقيين الى حفل افطار رمضاني عراقي تحت تعريف (افطار عراقي مميز) يجمعنا على موائد المحبة والاخوة العراقيه ولنحيي معا روح الشهر الفضيل بأجواء عراقيه أصيله بمشاركه فنية حيه من فرقة الموشحات الدينيه المناسبه لهذه الأجواء. دعي لهذا الحفل الكريم العديد من الشخصيات العربيه ،مما اضاف لأجواء الحفل نسمات عربيه اضافيه . بدأ برنامج الحفل بكلمة من الأمين العام للمنظمة الدكتور فارس خطاب رحب فيها بالحاضرين ،ونوه باعداد مجموعة من النشاطات سوف تعلن قريبا من شأنها ان تعزز الروابط بين اعضاء المنظمه ،وذلك من خلال لقاءت فكريه واجتماعيه.

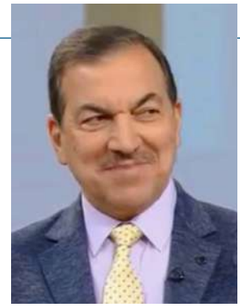

د. فارس خطاب

معبد الأقصر

«الأقصر» تحتفي باختيارها عاصمة للثقافة والتراث

■ تستعد مدينة الأقصر التاريخية للاحتفال باختيارها «عاصمة الثقافة والتاريخ والتراث الأولى فى العالم»، وذلك من قبل الاتحاد الإفريقى الآسيوى AFASU. وستتم اقامة احتفالية كبرى للجائزة 17 أبريل المقبل بمعبد حتشبسوت. وبحسب AFASU فإن «عاصمة الثقافة والتاريخ والتراث الأولى فى العالم» هى واحدة من الجوائز الرائدة التى يقدمها الاتحاد لتكريم المدن التى تمتلك إرثاً تاريخيًا وثقافيًا استثنائيًا يسهم فى إثراء الحضارة الإنسانية، وتعد الجائزة منصة دولية لتسليط الضوء على هذه المدن وإبرازها كوجهات سياحية وثقافية وتاريخية عالمية.

وأشارالمحافظ الى أن ذلك الاختيار يؤكد المكانة الكبيرة التى تحظى بها المدينة فى عيون العالم أجمع.

العثور على تابوت مصري من عصر الدولة الوسطي في الأقصر

■ اكتشف باحثون فرنسيون تابوتا من عصر الدولة الوسطى في مدينة الأقصر المصرية، في إطار بحوث أُطلقت بعد اكتشاف توابيت في الموقع نفسه خلال عامي 2018 و2019، على ما أفاد أحد أعضاء البعثة.

وحدث الاكتشاف في 16 ديسمبر الماضي ، في نهاية مهمة استمرت شهرين، على ما أكد فريدريك كولان مدير معهد علم المصريات في جامعة ستراسبورج، في شرق فرنسا، الذي شارك في المهمة، ونُظّمت حملة التنقيب بشكل مشترك بين أعضاء الجامعة وآخرين من المعهد الفرنسي للآثار الشرقية (IFAO).

واعتبر عالم المصريات أنّ هذا الاكتشاف (مهم) من جوانب عدة، إذ يوفّر (توضيحاً) على سؤال (أنثروبولوجي مهم)، وهو معرفة كيف تصرّف المصريون القدماء تجاه الجثة المحنطة ورفات أسلافهم عندما كانوا يكتشفون توابيت قديمة، وكان عليهم سحبها من مثواها الأخير خلال الأشغال العامة الكبرى. والتابوت الذي عُثر عليه يمثل عملية إعادة دفن.

وكانت الاكتشافات التي تمت عامي 2018 و2019 في الأقصر، لخمسة توابيت من عصر الدولة الحديثة (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن التاسع قبل الميلاد)، قد أُعيد دفنها.

بن غفير يقدم قانوناً لتهجير سكان غزة طوعيّاً

■ قدم وزير الأمن القومي المستقيل، المتطرف إيتمار بن غفير، اقتراح قانون جديد ينص على تشجيع (الهجرة الطوعية) لسكان قطاع غزة. وعلى الرغم من استقالة بن غفير من الائتلاف الحكومي، احتجاجاً على التوصل إلى اتفاق تبادل أسرى بين إسرائيل وحماس، فانه من المتوقع بحسب موقع (واينت) أن يمر القانون بالقراءة التمهيدية على أقل تقدير. المقترح يتماهى مع مقترح الرئيس الامريكي ترامب بتهجير سكان غزة الى مصر والأردن ،وقد رفضه العرب جميعا، وإن كان قد استقبل بحفاوة في اسرائيل. في حيثيات مشروع القانون، ذُكر أنه (يتعزز الاعتقاد بين كُثر أن فكرة إقامة دولة فلسطينية أخرى، في مناطق أرض إسرائيل الكاملة، تعني القضاء على دولة إسرائيل) الهدف من المقترح هو (تشجيع هجرة طوعية لسكان قطاع غزة. ومن يختار من سكان غزة القيام بذلك طوعية، سيُطالب بالتوقيع على تصريح بالمغادرة يتضمن تعهداً بعدم العودة). وكجزء من الترويج للتهجير وتشجيعه، يقترح القانون أنه (بعد مغادرة الفلسطيني) لفترة معيّنة سيُمنح بعد ذلك سلة مساعدات اقتصادية يقررها وزير المالية بالتشاور مع وزير الأمن. كما أن المسؤولين عن قاصرين سيطالبون بالتوقيع باسمهم على تصريح للمغادرة والتعهد بعدم عودتهم.

واحة الحصاد

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح

١ـ ماذا يُسمّى صوت الشحرور؟
التغريد ـ المناغاة ـ ام الرخيم؟
٢ـ ماذا يسمى ابن الثعلب؟
التتفل ـ الديسم ـ ام الخنّوص؟
٣ـ ماذا تسمى انثى الغيلم؟
الاتان ـ السعلاة ـ ام السلحفاة؟
٤ـ ماذا يسمى صوت الثور؟
الهدير ـ الخوار ـ ام الشحيح؟
٥ـ ماذا يسمى بيت الضبع؟
الوجار ـ الجحر ـ ام الخُمّ؟
٦ـ ماذا يسمى صوت الغنم؟
الزقاح ـ الثغار ـ ام الصأي؟
٧ـ ماذا يسمى ولد القرد؟
الرباح ـ الجرو ـ ام الدغفل؟
٨ـ ماذا تسمى انثى التيس؟
العنزة ـ النعجة ـ ام اللبوة؟

بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ نسى اخطاءنا عندما نعترف بها لغيرنا.. والمصيبة ان الغير لا ينسى... **وليم جيلبرت**

■ اذكى الازواج وألطفهم معشراً هو الذي ينادي زوجته مهما بلغ بها العمر: «يا صغيرتي»... **كابو**

■ في الزواج ليس هناك سوى يومين جميلين: يوم دخول القفص ويوم الخروج منه!.. **كابت ساخر**

■ ان تعرف كيف تروق للناس يعني ان تعرف كيف تخدعهم..... **اتيين راي**

■ كيف استطيع ان افسرّ نجاح الذين لا احبهم لو لم اكن اؤمن بالحظ!..... **جان كوكتو**

■ اذا شئت ان تكون حكيماً فلا تشتهِ كل ما ترى، ولا تصدق كل ما يُقال، ولا تقل كل ما تعلم، ولا تفعل كل ما تستطيع..... **لوبون**

■ تعلم من النمل اصول الكسب، ومن الحية الحكمة، ومن الحمام الوداعة، ومن الجمل القناعة، ومن الديك الاصباح المبكر، ومن الزهر البشاشة، ومن الاسد الشجاعة، ومن الاغصان الرقة واللين..... **حكمة هندية**

نوادر

● الغد الافضل ●

■ في كتابه «الابحار» يتذكر رئيس الوزراء البريطاني السابق «ادوارد هيث» سباقاً لليخوت في اوسترالیا فيقول:

بعدما أوصلني السائق الى يختي للمشاركة في سباق «سيدني ـ هوبارت» للعام ١٩٦٩ قلت له: «ما أروع بلادكم. ان المرء في اوسترالیا يتمتع بثقة في الذات يصعب ان يجد مثلها في مكان آخر. فما السر في رأيك؟

واجابني الشاب: «السر يا سيدي ان كلاً منا هنا يؤمن بأن الغد هو على الدوام افضل من اليوم».

وبعد ستة اشهر في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ قدت حزب المحافظين في الانتخابات العامة تحت شعار: «من اجل غد أفضل» الا ان سائقي الاوسترالي لم يعرف انه هو الذي امدني بالوحي لافتتاح تلك الحملة.

● وهذا ايضا ●

■ دُعي «برنارد شو» لحضور حفلة موسيقية، واتفق ان عازف الكمان كان جاهلا اصول فنه، فسخط الحاضرون لكنهم كانوا يتظاهرون بالارتياح.

وفي فترة الراحة تقدم مدير المسرح من برنارد شو وسألة رأيه في العازف، فقال شو: «انه يذكرني ببادروسكي...!»

فأجابه المدير: «غريب.. ان بادروسكي يجهل العزف على الكمان..!»

فقال شو: «وهذا ايضاً».

● آه كم اود ذلك ●

■ كانت طالبة تمريض تساعد مجموعة من المتخلفين عقليا على السباحة بقصد الاستشفاء المائي. ولاحظت ان احدهم بقي خارج الحوض ممعنا في مراقبة المجموعة باهتمام، فتقدمت منه وفتحت ذراعيها كي تشجعه على النزول وقالت: «هيا يا حبيبي.. لا تخف فانا سأعتني بك»

فابتسم الشاب وقال لها: «آه كم أود ان تفعلي ذلك.. غير اني الموظف المسؤول عن سلامة هؤلاء الفتيان..!».

عيد الفصح وعلاقته بالتقويم الهجري

عيد الفصح هو أحد الأعياد المسيحية المهمة، ويحتفل به ملايين الأشخاص حول العالم. يتميز هذا العيد بترتيبات خاصة في تحديد موعده، حيث يعتمد بشكل أساسي على مراحل القمر. يتغير تاريخ عيد الفصح من سنة لأخرى، مما يثير تساؤلات حول كيفية تحديد موعده وأسباب هذا التغيير.

موعد عيد الفصح

في العام 2025، سيُحتفل بعيد الفصح يوم الأحد 20 أبريل. ويعتمد هذا التاريخ على التقويم الميلادي (الغرغوري) الذي يتبعه معظم المسيحيين في العالم. ولكن تجدر الإشارة إلى أن العديد من الكنائس الشرقية الأرثوذكسية تعتمد التقويم اليولياني، وهو سبب اختلاف التواريخ بين الطوائف. في العام 2025، سيوافق عيد الفصح في الكنائس الأرثوذكسية أيضًا يوم الأحد 20 أبريل، حيث تتوافق التواريخ بعد تحويلها من اليولياني إلى الميلادي.

كيف يتم تحديد موعد عيد الفصح؟

يتم تحديد موعد عيد الفصح استنادًا إلى «القمر الفصحي». عيد الفصح يُحتفل به دائمًا في الأحد الذي يلي أول قمر مكتمل بعد الاعتدال الربيعي (عادةً 21 مارس). هذا يعني أن موعد عيد الفصح يتغير سنويًا، حيث قد يقع بين 22 مارس و25 أبريل بحسب التقويم الميلادي.

أهمية القمر في تحديد التواريخ

تعتمد الأعياد المسيحية بشكل عام على تقاويم القمر، مما يجعلها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتغيرات الطبيعية. ويُعتبر القمر غالبًا رمزًا للاحتفالات الروحية. في تاريخ بعيد الفصح، تُظهر البحوث أن هذه العادة تعود لقرونٍ طويلة، وهي مستمرة حتى يومنا هذا.

هناك تواريخ مختلفة يحتفل بها بعيد الفصح، حيث يسجل التاريخ الأكثر شيوعًا هو 31 مارس و16 أبريل عبر فترة تمتد نحو 500 عام. بالمقابل، يعتبر التاريخ الأقل شيوعًا هو 22 مارس، حيث يُرى أقل تكرارًا.

الفصح والعلاقة بالتقويم الهجري

التقويم الهجري يتبع دورة القمر أيضًا، ولكنه يعتمد على أشهر تسعينيه، والتي تحتوي على 29 أو 30 يومًا. لذلك، يختلف كل من عيد الفصح ورمضان بين عام وآخر، مما يؤدي إلى انتقال عيد الفصح عبر الفصول. هناك سعي من البعض لمقارنة توقيت عيد الفصح مع توقيت شهر رمضان، حيث يمكن أن يتوافق أو يختلف هذان الحدثان الدينيان بحسب السنة.

الأنشطة المرتبطة بعيد الفصح

تعتبر الأنشطة المرتبطة بعيد الفصح جزءًا أساسيًا من الاحتفال. يبدأ موسم الصوم (الصوم الكبير) قبل عيد الفصح بأربعين يومًا، وينتهي في يوم عيد الفصح. يُعرف يوم الأربعاء الرمادي بأنه اليوم الذي يبدأ فيه الصوم، والذي يحل في 5 مارس عام 2025. يعتبر هذا اليوم مهمًا في التقويم المسيحي، حيث يتلقى الكثير من الناس الرماد على جبينهم كرمز للتوبة والتذكر.

خلال فترة الصوم، يُمارس المسيحيون الامتناع عن بعض الأطعمة والخدمات الروحية. في الكنيسة الكاثوليكية، يُعتبر يوم الأربعاء الرمادي يوم صوم، حيث يلتزم الأفراد بممارسات التوبة.

عيد الفصح هو احتفال يتحرك وفقًا لتغيرات القمر ويعتمد على تقاويم مختلفة، مما يجعله ديناميكيًا وسياقيًا. تتداخل تفاصيل عيد الفصح مع العلاقة بين الفصول والتقويمين الميلادي والهجري، مما يذكرنا بعمق الترابط بين التواريخ والممارسات الدينية عبر التاريخ.

عبر فهم كيفية تحديد تاريخ عيد الفصح، نتعرف على القيم الروحية التي ينطوي عليها هذا العيد وأهميته في الحياة اليومية للكثير من الناس. لذا، يبقى عيد الفصح ليس مجرد احتفال بالقيامة، بل أيضًا مناسبة لتعزيز الإيمان وتجديد الأمل.

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايية والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

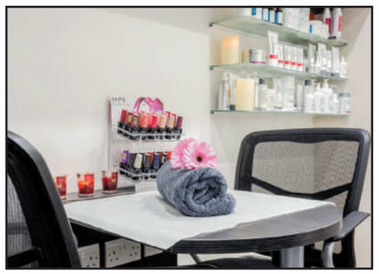

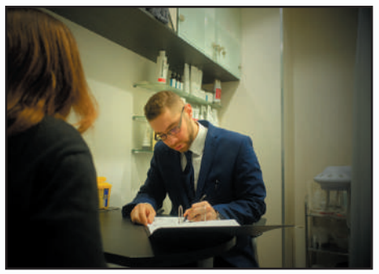

Style, Service and Splendor by the Mediterranean

Overlooking the Mediterranean in all its splendor, Le Royal Hotels & Resorts- Beirut is just a minutes away from the city's modern airport, bustling downtown area, famed Jeita Grotto, Casino Du Liban, old souks of Byblos, majestic ski resorts and upscale shopping districts. With specious rooms and suites, Le Royal Hotels & Resorts - Beirut boasts sumptuous dining options, spectacular leisure facilities and sophisticated business amenities in an atmosphere of luxury.

THE LEADING HOTELS OF THE WORLD

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Hammamet | Tunisia

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com